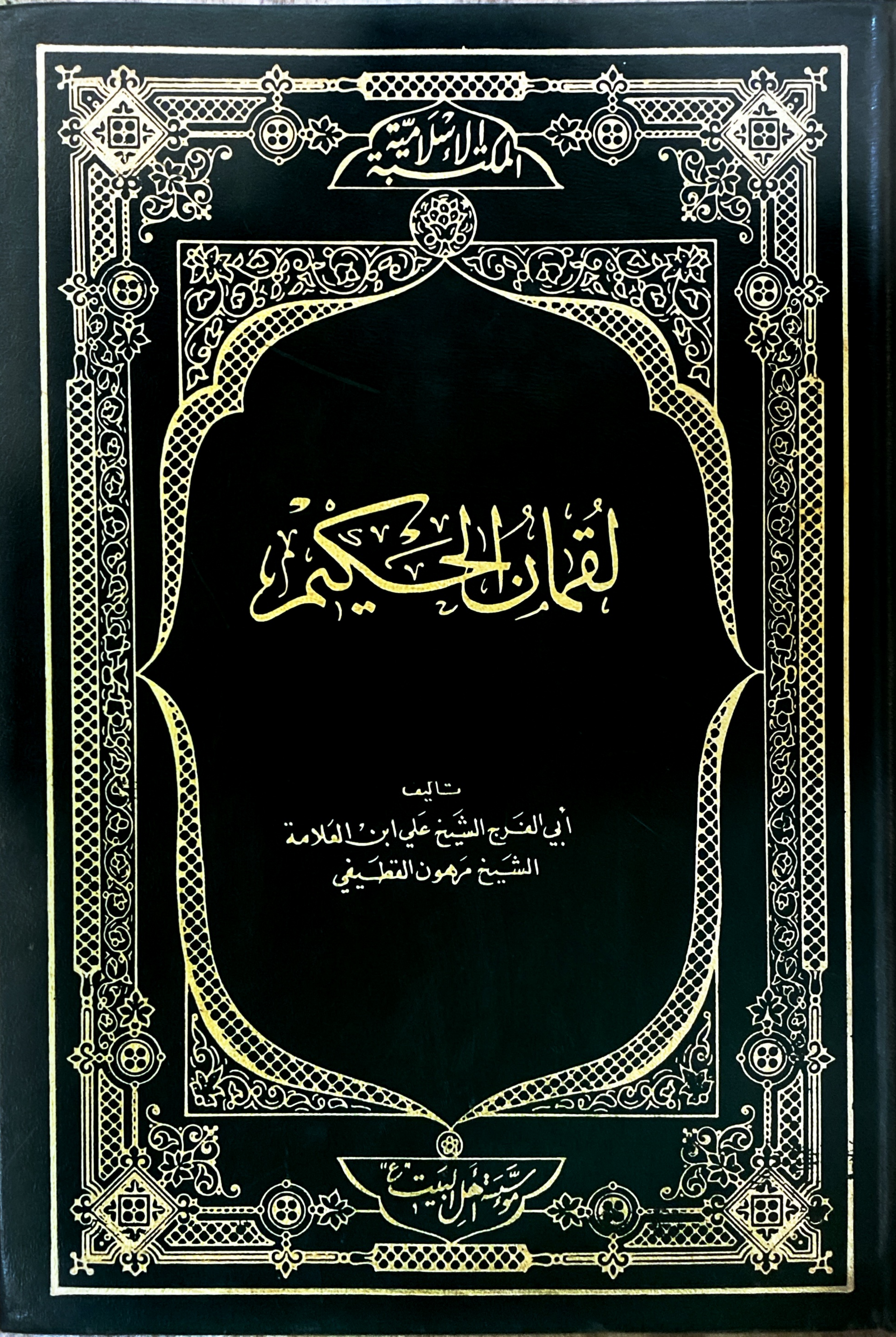


المكتبة الإسلامية
لقمان الحكيم
تأليف
أبي الفرج الشيخ علي ابن العلامة
الشيخ مرهون القطيفي
مؤسسة أهل البيت




لقمان الحكيم





لقمان الحكيم

كتاب ديني أخلاقي يبسط للقارىء
حياة لقمان الحكيم وحكمته المأثورة
ويستقصي سيرته من المهد إلى اللحد .

تأليف
أبي الفرج الشيخ علي ابن العلامة
الشيخ مرهون القطيفي

مؤسسة أهل البيت (ع)
بيروت - لبنان
ص.ب ۲٥/۱۸۱ الغبيري

المكتبة الاسلامية
٢٥

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدمة

يلمح المتتبع على افق الحياة العقلية في القطيف تباشير تدل دلالة واضحة على ميلاد صبح أدبي قد يكون هذا الميلاد قريباً أو بعيداً ولكنه آتٍ ولا بد منه أنا من ذلك على يقين لا يشوبه شك ولا يتسرب إليه ريب .

كنا إلى الأمس القريب لا يتجاوز الأدب عندنا أدب المقالة العابرة القصيرة والقصيدة ونستكثر المقالة الطويلة ونستعظم الترجمة التي تبلغ ثماني صفحات ، أما التي تبلغ العشرين أو الثلاثين فلا تسل عن دهشتنا أمامها فإنّها أكبر من أن تحد .

بيد أنّه مما يثلج الصدر ويرد الى النفس اطمئنانها ويشبع في جنبات النفس النشوة هذه المحاولات الطيبة التي تبشر بمستقبل

أفضل ولم يكن للقطيف بها عهد من ذي قبل هذه المحاولات من الشباب الطامحين من طلاب العلم الديني والادباء على السواء.

ولست أدري أتخف حدة هذه الدهشة أم تبلغ حرارتها رقمها القياسي عندما أقدم للقراء صديقي الفاضل (أبا الفرج المرهون) في كتابه (لقمان الحكيم) الذي تجاوزت صفحاته المائتين وكلها تدور حول شخصية لقمان وما يتصل بهذه الشخصية القوية الغنية مباشرة أو بالواسطة .

طلب إليَّ صديقي العزيز (أبو الفرج) أن أقدِّم كتابه (لقمان الحكيم) فلبيت طلبه لما له من مكانة عندي ولما أحمل له في أعمق أعماقي وأكنّ طيَّ جوانحي من مودة وذكريات عزيزة غالية ولما بيننا من صِلات روحية متينة بعيدة العهد ترجع إلى عهد الدراسة في (جامعة النجف الأشرف) وعلى كل حال سأقول كلمتي في كتاب الصديق خالصة لوجه الحق وحده وطاهرة من شوائب العاطفة ، عاطفة الصداقة وسريعة أيضاً لتجاري عجلة العصر المسرع حتى الطيران .

اذا كانت المقدمة حرق بخور في هيكل المجاملة أو إزجاء الثناء والمديح الرخيصين ومن طرف اللسان فحسب فما أحرانا أنا والمؤلف من أن نربأ بأنفسنا عن هذا الوحل ، وما أخلقنا أن نرتفع عن هذا المستوى الواطىء ، وأما اذا كانت المقدمة هي شكر المؤلف على ما قام به من عمل وما بذل من جهد وسلخ من وقت ثمين فأنا أولى من غيري بالقيام بهذه المهمة الإنسانية واغتباطي بها لا يقل عن اغتباطي فيما لو كان موجهاً هذا الثناء إليَّ بالذات .

رسم المؤلف على صفحة عنوان الكتاب هذه الجملة : **(كتاب ـ أي لقمان الحكيم ـ ديني أخلاقي يعرض حياة لقمان الحكيم ويستقصي سيرته من المهد إلى اللحد)** ويلقي أضواء على حكمته المأثورة ، ومن الانصاف أنّ المؤلف لم يدخر وسعاً ولا طاقة إلا بذلها في تحقيق هذه الجملة وجعلها ظاهرة شائعة في فصول كتابه حسبما أدى من بيان واطلاع وقتل خزانة كتبه بحثاً وتنقيباً لإزاحة الستار وجلاء الغبار عن شخصية لقمان الحكيم وإبرازه صورة واضحة المعالم بينة الملامح فإن وفق إلى ما رمى وأراد فهذه هي الغاية المنشودة له من وراء التعب والاستقصاء وإن أخطأ فحسبه أجر المجتهد وهو غير قليل ويعجبك وأنت تطوف في الكتاب تواضع المؤلف وإقراره بالتقصير ، وجميل جداً رده هذا التقصير إلى فقدان المصادر وهذا هو العقبة الكأداء في طريق الباحثين .

هذا ولست أراني بحاجة إلى عرض مواضيع الكتاب فما أحب أن أُعلِّم القارىء الكسل وكذلك لا احب أن أحكم على الكتاب فالحكم عليه وله للتاريخ وحده وللناس كافة .

واذا كانت غاية المؤلف من مساعيه خدمة زملائه خطباء المنبر الحسيني فإنّي أحسبه قد وفق ونال غايته فاستحق شكر كل خطيب واستوجب الثناء العاطر الحق من كل أديب وقد قيل : إنّ الأعمال بالنيات ولا شك في حسن نية المؤلف ونقائها .

بارك الله في **(أبي الفرج)** وبورك له في جهوده وحياه الله رائداً .

القطيف ١٥ ـ ٦ ـ ١٣٧٢ **عبد الحميد الخطي**

نبذة من

ترجمة المؤلف

هو أبو الفرج علي ابن العلامة الشيخ منصور بن علي بن محمد ابن حسين بن مرهون الخطي القطيفي .

ولد في بلاد آبائه وأجداده **ام الحمام** ـ بالحاء المهملة ـ من القطيف باليوم الخامس من شهر ربيع الثاني سنة ١٣٣٤ الرابعة والثلاثين والثلاثمائة وألف هجرية .

رباه أبوه تربية صالحة نشأ بها محباً للعلم وذويه ، فلما بلغ العشرين من عمره حتى حفظ القرآن الشريف والخط ومقدمات العربية على كلا الاستاذين **الملا أحمد المرهون** المتوفى سنة ١٣٥١ هـ تقريباً والشيخ **عبد الحي المرهون** المتوفى ٢٠ ـ ٢ ـ ١٣٦٦ هـ .

وفي اليوم الخامس من شهر شعبان سنة ١٣٥٤ جهزه أبوه للسفر حيث (**جامعة العلم النجف الأشرف**) لطلب العلوم الدينية فأقام ستة أعوام تحصل فيها على ما عد به من طلاب العلم متلمذاً فيها على جملة من العلماء الأفاضل منهم الشيخ **فرج العمران** والشيخ **طاهر** القطيفيين والشيخ **محمد طاهر المحمري** والشيخ **قاسم محيي الدين النجفي** وكذا على **والده** المرحوم خلال الشهور التي أقام فيها هناك من سنة ١٣٥٨ هـ .

وفي أواخر شهر شوال سنة ١٣٦٠ هـ توجه من النجف الأشرف قاصداً الى القطيف بعد مراجعات دارت بينه وبين أبيه بصدد تزويجه وبعد وصوله بشهر زوجه أبوه بكريمة من أكفائه فطلب الرجوع الى النجف لإنهاء عمله وإكمال دراسته فلم يتأت له ذلك لعزم أبيه على السفر فبقي منتظراً عودته حتى يتمكن من السفر فما مضى غير شهر واحد من إياب أبيه من سفره حتى اصيبوا بحادث عظيم لم يكن في الحساب منع الجميع منهم حتى من التصرف في نفسه ثم ازداد الليل ظلاماً فما مضت غير بضعة شهور حتى توفي أبوه على أثر داء عضال استعصى على الأطباء في ٣٠ ـ ٦ ـ ٦٢ فأصبح خلي الظهر صفر الكف متمثلاً مردداً قول :

تجري على العكس من قولي ظعونهم ‏ ‏ ‏ ولو سرت مطلقاً ما فاتني الإرب

ومكرراً قول بعضهم :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ‏ ‏ ‏ تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

الأمر الذي أوجب عدم القدرة على الخروج من الوطن حيث الوجهة التي عقد عليها أكبر أمله فأقام على مضض إلى وقتنا هذا وهو ٦ ـ ٦ ـ ١٣٧٣ هـ والله أعلم بمستقبل الزمان فإنّ (الليل حبلى فما يدرى بما يلد) .

وهذه المدة وإن كانت غير قليلة ولكن ماذا يصنع من أقام على مضض أشبه شيء بالمسجون غير أنّ مترجمنا مهما كلف الحال لم يدع أيامه تذهب باطلاً وأوقاته تذهب عبثاً فقد عمل أعمالاً أنتجت خيراً كثيراً ومنافع جمة تبشر بمستقبل باهر وإليك بيان ذلك من تآليفه وخدماته :

١ ـ كتابه (**مغني القراء**) في ثلاثة مجلدات وهو كاسمه لا يحتاج معه لغيره .

٢ ـ ديوان شعر أسماه (**بالمرهونيات في رثاء السادات**) في جزئين .

٣ ـ **الروضة العلية** باللسان العامي تشتمل على رثاء المعصومين عليهم السلام .

٤ ـ **أعمال الحرمين** يجمع بين دفتيه أعمال مكة والمدينة بأسرها وقد طبع اكثر من مرة .

٥ ـ **الروضة الحسينية** لوالده المرحوم أضاف اليها الشواهد اقتطفها من ديوانه المرهونيات المذكورة وطبعها على نفقته الخاصة .

٦ ـ كتاب **يوم الأربعين** للمرحوم الشيخ عبد الحي المرهون أضاف اليه مقدمة صالحة وطبعه مشتركاً في ذلك مع جماعة من أهل الخير .

٧ ـ **لقمان الحكيم** الكتاب الماثل بين يديك .

وهو كتاب ديني أخلاقي إلى آخر ما رسم على صفحة عنوانه ونكتفي من تقريضه والثناء عليه بعد شهادة الوجدان بما قرضه به العلامة الشيخ فرج العمران الآنف الذكر شافعاً ذلك بتاريخ عام التأليف قال حفظه الله :

حقاً أقول إنيّ بعدما سرحت بريد نظري في طي طروسه وجلت بفكري فيما انطوت عليه مضامين سطوره ، وجدته على اختصاره كتاباً علمياً أخلاقياً أدبياً حافلاً بالحقائق جامعاً لكنوز الدقائق كما يراه من جاس خلال دياره وجال في ربوعه العامرة بثواقب أفكاره ، وفق

الله إخـواني الأعزاء لـطبعه ونشـره وبذل الـوسع والـطاقـة في إبـرازه واشتهار أمره لعموم نفعه .

وأتمنى لصديقي المؤلف الرقي البـاهر والنجـاح السريـع والنبـوغ الصميم وأختم كلمتي بـأبيات قلتهـا في تاريـخ الكتـاب المشـار إليـه والثناء عليه وعلى مؤلفه العبقري وإليكها :

طبيب النفس لقمـان الحكيم ... بنـافـع وعـظه يشفى السقيم
مـعـان كـاللئالى نـيـرات ... وألفـاظ هي الـدر الـنـظيم
بـه سمحت قـريحـة عبقـري ... ونمـق لـفـظه قـلم كـريـم
فـتى العـلام مـنصـور عـلي ... لنـا رسمت بيمنـاه الـرقـوم
فجـاء بمـا يـروق النفس لـطفاً ... ومـا يشتـاقـه العقـل السليم
مـواعظ نـافعـات نـاصعـات ... زواهٍ مـثلما زهـت الـنـجـوم
شفى مـرضى ضمائـرنـا فـأرخ ... (بزاهي الوعظ لقمان الحكيم)

وقال ايضاً مؤرخاً عام الطبع :

أبـا فـرج لقمـان أحييتـه لنـا ... وسفرك هذا وعظ لقمان حافظه
وجـددت ذكراه وقلت مؤرخـا ... (يجدد لقمان الحكيم مـواعظه)

١٣٧٣ هـ

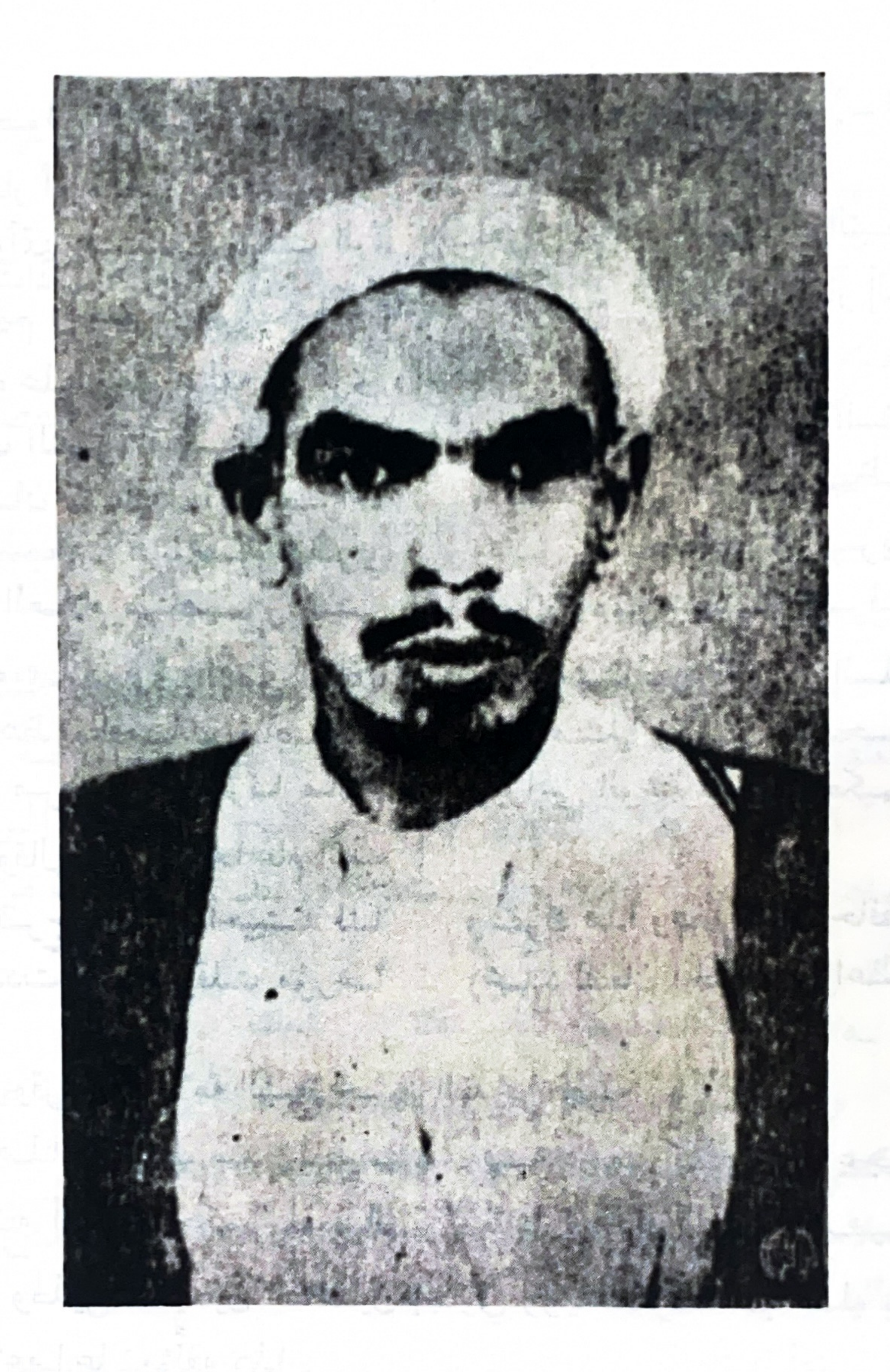
وقرضه العلامة الشيخ حسين القديحي بقوله :

إنّ هـذا الكتـاب سفـر لـطيف ... فيـه در من كـل شيء عجيب
نشرتـه أقـلام حكمـة لقمـان ... فـطوبى لـكـل عبـد منـيـب

ولهذين الشيخين الفاضلين إجازتي رواية للمؤلف كتباهما له بعد اطلاعهما على مؤلَّفه هذا .

وفي الختـام اقدم للقـراء الكرام رسم المؤلف متمنيـاً له السعـادة والإقبال والحياة الطويلة الهنية الطيبة .

القطيف ٢ ـ ٦ ـ ١٣٧٣ هـ.



صورة المؤلف

صورتي هذه تعبِّر عني في جميع الأزمان والأحقاب
تنبىء الناس عن خصالي وأنّي صرت رهن الأعمال تحت التراب

الاهـداء

إلى بطل السيف والقلم .

الى المثل الأعلى لسائر العالم .

الى من رقت مثاليَّته الى أسمى قمم الكمال .

الى حكيم الإسلام أبي الحسن عليه السلام اهدي كتابي هذا .

المؤلف

كلمة المؤلف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وصلّى الله على محمد سيد المرسلين وآله الهداة الميامين الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً وعلى أصحابه الأطيبين والتابعين لهم باحسان .

وبعد ، فإنّ كثيراً من السوانح العابرة قد تؤدي إلى جم غفير من امور الخير النافع لبني الانسان أحقاباً من السنين ، وذلك قد يكون مع الالتفات والتأمل والتفكير زمناً غير قليل ، وقد يكون عفواً بدون أي تأمل كما اتفق لي أيام كنت في النجف الأشرف وأنا اطالع في بعض كتب التراجم والتاريخ في مكتبة كاشف الغطاء العامرة وقد مررت على تراجم رجال هم دون ما دوِّن فيهم فخطر في البال ذكر لقمان الحكيم وتأملت سورته من القرآن المجيد وما انطوت عليه من ذلك الثناء العظيم والذكر الخالد والمواعظ والحكم التي لا مزيد عليها ، فعنّ لي أن اؤلف كتاباً يجمع بين دفتيه ما ورد عن هذا العبد الصالح من آداب وحكم ووصايا ومواعظ وغير ذلك مما يتعلق به مما أمكن الاطلاع عليه .

ولم تزل هذه الفكرة تدور في نظري وبين جوانحي حتى هبطت الى القطيف راغماً وطالت إقامتي فيه مع تعاقب ما يضيق به الخناق من مرض شديد وحادث عصيب . وعلى أي حال فقد وجدت مجالا لتحقيق تلك الامنية الشريفة والغاية الحميدة ، فشمرت عن ساعد الجد وبذلت الوسع والطاقة في التنقيب والفحص عن تلك الشخصية الفذة فما تأتى ما ترى إلا بعد الكد والعناء ، ولا أراه إلا قليلاً دون لقمان وحكمته وشهرته لكن عدم العثور على الكثير لا يمنع من تدوين القليل النافع واذا صدق عليه ذلك فليس بقليل بل هو كثير وكثير .

قليل منك يكفيني ولكن   قليلك لا يقال له قليل

ولعل بعض النوابغ من الفضلاء العظام في الربع المعمور جمع الكثير من حياة هذا الحكيم في كتاب سماه باسمه فلم نتصل به فلئن كان كذلك فليس عجيباً وإنّها حسنة مشكورة عائدة بالنفع الجليل على النوع البشري جيلاً بعد جيل ، ولئن لم يكن فليس عجيباً أيضاً (فكم ترك الأول للآخر) .

فهذا هو كتاب (**لقمان الحكيم**) البكر لمؤلفه إذ لم يسبق بمؤلف قبله فهي أول خطوة أخطوها في هذا الميدان الواسع النطاق فإن جاء على ما يرام فله الحمد على ما أنعم وله الشكر على ما ألهم وإلا (فالعذر عند كرام الناس مقبول) سائلاً ربِّي سبحانه وتعالى أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به إخواني المؤمنين سيما خطباء المنبر الحسيني وفقهم الله لمراضيه وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب .

المؤلف

لقمان الحكيم

إنّ لقمان الحكيم فريد دهره ولسان عصره والمتفرد بفن الحكمة رجل فذ وأوحدي صرف ، له المكان الكبير الواسع النطاق في قلوب عامة الناس ، وهو المثل الأعلى فيما تفرد به من فنون الحكمة ، وهو الرجل العارف بأوله ونهايته ، كما أنّه العارف بأهل زمانه حقاً فجاراهم حسبما تقتضي أحوالهم وظروفهم آخذاً بهم إلى طريق الرشاد فكان الامام الحكيم الحاذق .

ولست احاول في كتابي هذا التعريف والاحاطة بكنه أمثاله وأنّى لي وأنا من القصور عن التعريف بكنه من هو أدنى منه بمكان غير أني أقول :

هي ذات قدسية قد براها	ربها في العوالم القدسيه
ضرب الله للعباد مثالاً	هو لقمان مقتدىً في البريه
هاك فرقان أحمد إنّ فيه	آي لقمان موضحات القضيه
ليس يخفى على الإلٰه فتيل	فاتخذ حذر من يخاف المنيه
جانب الشرك فهو ظلم عظيم	ليس يعفو عنه عليم الخفيه
خذ حذاراً إذا أردت فراراً	وتمسك بالعترة الأحمديه
إنّ لقمان قد تولى علياً	وبنيه الأئمة المهديه

فهذه هي تلك الذات المقدسة التي قد ألهمها خالقها الحكمة فتعلقت بروح الملكوت فهي لا تعرف إلا خالقها ولا تلهج إلا بذكر ربها فما عسى أن يقول القائل ويحرر الكاتب في ذات هذه كنهها وحقيقتها فإنّ غاية ما يقول القائلون ويحرر الكاتبون فيمن هو مشهود له بالعلم والعمل والميل إلى الخالق تبارك وتعالى : فلان عابد زاهد ، عالم عامل ، ورع ناسك .

وقد وصِف بذلك كثير من الناس غير أنّ القرآن الشريف لم ينوّه بذكر أحد منهم ولم يكن لهم من الصيت وشياع الذكر ما يكون له أهمية توجب الخلود ولم يكونوا أئمة يقتدى بهم ما كرّ الجديدان اللهم إلا ما كان من مؤمن آل فرعون فإنّه أنذر قومه وحذرهم الشر فأثنى الله تعالى عليه بقوله : ﴿ **وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه** ﴾ الآيات وآخرها ﴿ **فستذكرون ما أقول لكم وافوض أمري إلى الله إنّ الله بصير بالعباد** ﴾ حاكياً حاله وموضحاً مقاله ، ليعرف له مقامه وفضله ، فقد جاهد بإيمانه الصادق مدافعاً جهده خوفاً على قومه من سوء العاقبة فحاز بذلك الدرجة الرفيعة والمقام الأسمى ، لأنّ غرضه يهدف لمعنىً سامٍ شريف ، خالصاً من شوائب الأغراض الشخصية وهو النفع العمومي الذي يحاوله كل شريف كأمثال من نحن بصدده ، فإنّه له كل ذلك ، بل له الميزة الخاصة على أمثال مؤمن آل فرعون :

أولاً ـ لما تفرّد به من الجهود الجبارة في سبيل إنقاذ امته من تيار الضلال الجارف ، مما ستعرف حقيقته من مطاوي هذا الكتاب .

وثانياً ـ لما امتاز به عن كثير من الناس إن لم نقل كلهم ما عدا الأنبياء والمرسلين والأوصياء المرضيين ، فمن ذا الذي أوحى الله تعالى إليه بالخلافة فاشترط فيها ؟ لذا ومثله أصبح وحيداً ليس له ند من أفراد العالم الا من اختاره الله لوحيه واصطفاه لرسالته ، فإنّه دونهم بلا شك ، حيث إنّ الأنبياء والمرسلين وخلفاء الله في أرضه ، وحججه على عباده لا يحوم حولهم أحد ، لأنّهم خيرة الله من مخلوقاته ، فمترجمنا دونهم وفوق من عداهم .

عاش هذا العبد الصالح في زمان كغيره من سائر الأزمنة يجمع بين النابل والحابل والغث والسمين وقوم لا يكادون يفقهون قولاً ، غير أنّه كان عارفاً بهم حق المعرفة لا يفوته التمايز بين ما انطوت عليه النوايا فجاراهم حسبما تقتضي أحوالهم وظروفهم . يجادلهم بالتي هي أحسن ويدفع السيئة بالحسنة .

فتراه تارة يفضل العزلة ويجانب السواد لعدم الفائدة في الإختلاط بهم في أوقات قد لا تنفع مواعظه ولا يفيد إرشاده ، وتراه اخرى يختلط بالناس اختلاطاً شديداً منتهزاً فرصة نفع الوعظ والإرشاد فلا يألو جهداً ، وفي كلا الحالين كان ولا يزال منقطعاً إلى الله تعالى قاطعاً أمله عن الناس وعما في أيديهم فتحصل بذلك على القربين : القرب من الله لأنّه طمع فيما عنده ، والقرب من الناس لأنّه زهد فيما عندهم .

وهذا عين ما أجاب به الامام امير المؤمنين عليه السلام حين سأله بعض أصحابه قائلاً :

يا مولاي دلني على عمل إن أنا فعلته أحبني الله وأحبني الناس ؟

فأجابه « إرغب فيما عند الله يحببك الله ، وازهد فيما عنـد الناس يحببك الناس » .

الحكمـة

قال الله سبحانه وتعالى في آية ٢٦٩ من سورة البقرة :

﴿ يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتَ الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً وما يذكَّر إلا اولو الألباب ﴾ .

- **الحكمة** : فهي لفظ جاء لمعانٍ كثيرة :

منها - معرفة الأشياء بالإلهام الرباني .

ومنها - إدراك الحق بواسطة العلم والعقل ويرجع إلى المعنى الأول وبهما فسر قوله تعالى : **﴿ ومن يؤت الحكمة ﴾** الآية .

وقيل : المراد به في الآية ولاية أهل البيت عليهم السلام .

وقيل : المراد بها علم القرآن ناسخه ومنسوخه محكمه ومتشابهه .

والحكمة من الباري جل اسمه : معرفة الأشياء وإيجادها على غاية الإحكام ، ومن غيره تعالى : معرفة الموجودات وفعل الخيرات .

وقيل إنّ هذا المعنى وصف به لقمان عليه السلام في قوله تعالى : **﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة ﴾** الخ .

ثم إنّ الحكمة : علم بأحوال أعيان الموجودات على ما هي عليه في نفس الأمر بحسب الطاقة البشرية .

وأعيان الموجودات إن كانت بقدرتنا واختيارنا فهي الحكمة العملية وإلا فهي الحكمة النظرية .

وتنقسم إلى العلم الإلهي والطبيعي والرياضي ، ووجه الإنحصار أنّ الأعيان إن كانت غير محتاجة في الوجود الخارجي والعقلي إلى المادة فهو العلم الإلهي وإن احتاجت في الوجودين إليها فهو الطبيعي ، وإن كان احتياجها إلى المادة في الوجود الخارجي فقط فهو الرياضي .

وقيل : إنّ الحكمة هيئة القوة العقلية العلمية .

وقيل : غير ذلك والله أعلم .

وقيل : كان لقمان يطيل الجلوس وحده وربما مرَّ به مولاه فيقول له : يا لقمان أنت تديم الجلوس وحدك فلو جلست مع الناس كان آنس لك ، فيقول :

إنّ طول الوحدة أفهم للفكرة ، وطول الفكرة دليل على طريق الجنة .

وإنّه دخل على داود عليه السلام وهو يسرد الدرع ، ولم يكن رآه قبل ذلك ، فأراد أن يسأله فأدركته الحكمة فسكت ، فلما أتمها داود لبسها وقال :

نعم لبوس الحرب أنت .

فقال لقمان : الصمت حكم وقليل فاعله .

فقال له داود : بحقٍّ مّا سميت حكيماً .

مولده ومحل إقامته

لم أجد في كل ما سبرته من الكتب المظنونة بالتعرض لبعض حياته نصاً على محل مولده غير أنّ الظاهر أنّ دار ولادته مصر ، حيث أنّ نسبته إلى سودانها بدون حرف التشبيه يؤيد ذلك والله العالم .

فعلى هذا ، إنّ مولاه الأخير اشتراه من أرض مصر ونقله إلى بلاده قرية (**أيلة**) الواقعة بين مَدْين والطور على شاطىء البحر ، فكان عنده بها إلى أن أعتقه .

وذكر المسعودي أنّ لقمان الحكيم كان نوبياً مولىً للقين بن خسر ولد على عشر سنين من ملك داود عليه السلام وكان عبداً صالحاً منَّ الله عليه بالحكمة ، ولم يزل في فيافي الأرض مظهراً للحكمة والزهد في هذا العالم .

وذكر غيره أنّ لقمان الحكيم لما ملك أمره وعاد حرّاً هاجر إلى مدينة تعرف بمدينة (**الرملة**) بقرب بيت المقدس وبنى بها بيته الذي له الميزة الخاصة على سائر البيوت كما سيتضح قريباً واتخذ تلك البلاد وطناً مدة حياته مع زوجته وعياله راضينَ بقضاء الله وقسمه .

نسبه وأوصافه

هو لقمان الحكيم بن باعور بن ناخور بن تارخ .

وقال المسعودي في مروجه لقمان الحكيم هو لقمان بن عنقاء بن مربد بن صاوون وكان نوبياً مولى للقين بن خسر .

وقيل : إنّه إبن اخت أيوب عليه السلام أو ابن خالته .

وقد قيل في أوصافه : كان لقمان الحكيم أسود اللون ، عظيم الشفتين ، مشقق القدمين ، ذا مشافر ، حبشياً أو نوبياً ، من سودان مصر ، يمشي على سكينة ووقار ، لا يدخل إلا فيما يعنيه .

أقول :

قف متأملاً في صفات بطل الخلود ، ورجل العالم ، والمثل الأعلى للمجموعة الإنسانية . وما كنا نظنه إلا مصداقاً لقول ﴿ **ما هذا بشر إن هذا إلا ملك كريم** ﴾ لكن الظواهر من حسن وجمال وقدّ واعتدال وغيرها لا تخوّل للإنسان أن يتصف بأي صفة من صفات الخير ما لم يكن لها مصداق ولقد وصف الله سبحانه أقواماً ذووا مناظر وأجسام وأشكال بالخشب في قوله تعالى : ﴿ **كأنّهم خشب مسندة** ﴾ .

فالناس مخابر لا مناظر ﴿ إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ لا أحسنكم وجهاً ولا أغناكم مالاً .

وفي قصة « برخ » ذلك العبد الأسود الاسرائيلي آية للسائلين وإليكها حرفياً لنعرف مقدار أثر التقى ومصداق الحديث « ربّ أشعث أغبر ذي طمرين لو أقسم على الله لأبر قسمه » .

روي في مناجاة برخ الأسود الذي أمر الله تعالى كليمه موسى عليه السلام أن يسأله يستسقي لبني إسرائيل بعد أن فحطوا سبع سنين .

وخرج موسى عليه السلام ليستسقي لهم في بني إسرائيل سبعين ألفاً فأوحى تعالى اليه :

كيف أستجيب لهم وقد أظلت عليهم ذنوبهم ، وسرائرهم خبيثة ، يدعوني على غير يقين، ويأمنون مكري ، إرجع إلى عبدٍ من عبادي يقال له : برخ يخرج حتى أستجيب له .

فسأل عنه موسى فلم يعرف فبينا موسى ذات يوم يمشي في طريق وإذا هو برجل أسود بين عينيه تراب من أثر السجود في شملة قد عقدها على عنقه ، فعرفه موسى عليه السلام بنور الله تعالى فسلَّم عليه فقال له :

ما اسمك ؟ .

فقال : اسمي برخ .

فقال له : أنت طلبتنا منذ حين ، اخرج استسق لنا . فخرج فقال في كلامه :

(ما هذا من فعالك ، وما هذا من حلمك ، وما الذي بدا لك ؟ ! أَنقصَت عليك غيومك ؟ أم عاندت الرياح عن طاعتك ؟ أم نفد ما عندك ؟ أم اشتد غضبك على المذنبين ؟ ألست غفاراً قبل خلق الخطائين خلقت الرحمة وأمرت بالعطف ؟ أم ترينا أنّك ممتنع ؟ أم تخشى الفوت فعجلت العقوبة ؟).

فما برح برخ حتى اخضلت بنو اسرائيل بالقطر ، فلما رجع برخٍ استقبله موسى عليه السلام فقال : كيف رأيتني حين خاصمت ربي كيف أنصفني . إنتهى .

العتـق

إنّ لقمان كان في بـادىء أمره ومنـذ نشأ عبـداً مملوكاً قـد اشتراه مولاه القين بن خسر من رجل قصار من أهل مدينة أيلة بثلاثين ديناراً ونش[1]فكان عبداً مملوكاً له غير أنّه لم يكن كسائر العبيد لما جُبل عليه من المزايا التي تـوجب التقدم قهـراً فهو ذلـك التقي الورع الـزاهـد المتفاني في حب طاعة المولى تبارك وتعالى .

وكـان ذا هيبة عـظيمة وعـزة منيعة مصـداقاً لقـول الامام عليـه السلام : «**وإن أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذل معصية الله إلى عز طاعة الله عز وجل** »

فلقمان الحكيم عبد لكنّـه حر الفكـر والنظر والبصيـرة لذا كـان عند مولاه كمستشار ومعتمد يرجع إليه بالمشورة في الأمور المهمة التي يعجز عنها ذووا الأفكار الحصيفة فتنجـح على يـديه ولقـد كان مـولاه يأتمر بما يأمر وينتهي عما ينهى . فكان آمراً ناهياً ويدلنا على ذلك قول مولاه وقد ابتـلي ببلاء من أصحـابه عجـز عن حله : « يا لقمـان إنّي ادخرتك لمثل هذا اليوم ».

---

(١) النش مراد به النصف ونش كل شيء نصفه .

وسـأوقفك عـلى نبذ من أحـواله معـه تلمسك الحقيقـة الراهنـة فتؤمن سريعاً بصحة قولنا فيه وأنّ مـولاه أحس بتلك الأيادي الجميلة التي طوقه بهـا لقمان فـرأى أحسن شيء يكافيـه به أن يعتقـه ليملك حـريته حقيقـة فكان منـه ذلك فعـاد لقمـان الحكيم حـراً بـدون أن يُكسب بفضل أو جميل .

لقمان ومولاه

روي أنّ لقمان الحكيم عليه السلام قال لـه مولاه ذات يـوم : اذبح لنا شاة .

فلما ذبحها قال له : آتني بأطيب مضغتين منها .

فأتاه بالقلب واللسان .

فقال له : أما فيها أطيب من هذين ؟

فقال : لا .

فسكت عنه ، فلما كان ذات يوم آخر قال له : إذبح لنا شاة .

فلما ذبحها قال لـه : آتني بأخبث مضغتـين منها، فـأتاه بـالقلب واللسان . فقال له : أمرتك أول مرة أن تأتيني بأطيب مضغتـين منها فـأتيتني بالقلب واللسـان ، وأمرتـك في هذه المرة أن تـأتيني بـأخبث مضغتين منها فأتيتني بهما أيضاً ؟ .

فقـال : « **ليس بأطيب منهـما اذا طـابـا ، ولا بـأخبث منهـما إذا خبثا** » .

فهما تمام الإنسان وما عداهما من الجوارح أعوان قائمة بوظائفهـا بـارشاد القلب وتبليـغ اللسان فـالإنسـان طيب اذا طـابـا وخبيث اذا

خبثا ، وإلى ذلك يشير زهير في معلقته :

لسان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وكائن ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم

وكان لقمان مع مولاه إذ دخل المخرج فأطال الجلوس فيه فناداه لقمان :

« إنّ طول الجلوس على الخلاء يورث وجع الكبد ، ويخرج الباسور ، ويصعد الحرارة الى الرأس ، فاجلس هويناً وقم » .

فخرج مولاه وكتب حكمته على باب الحش [1]خوفاً من النسيان ويقال أول ما روي من حكم لقمان مع مولاه هذا الكلام الحكمي الطبي .

وروي أنّه خرج ذات يوم مع رفقة من أصحاب مولاه إلى بستان له ليأتوه بشيءٍ من ثمره ، فجاؤوا وليس معهم شيء ، وكانوا قد أكلوا كلما جاؤوا به وأحالوا ذلك على لقمان وشهدوا عند مولاه أنّه أكل الثمر كله .

فقال له مولاه : ما هذا منك ؟

فقال له لقمان : **« إنّ ذا الوجهين لا يكون عند الله أميناً ، فاسقني وإياهم ماء حميماً ثم أرسلنا فلنقذفه حتى ترى من الآكل للثمرة »** فسقاهم ذلك وأرسلهم فتقيأوا ما أكلوا من الفواكه وتقيأ لقمان ماءً صافياً فعرف صدقه وكذبهم .

وجلس مولاه وندماؤه وكانوا جماعة فلما سكر خاطرهم على

---

(١) الحش بالفتح الكنيف موضع الحاجة .

شرب ماء بحيرة ، فلما أفاق عرف ما وقع فيه فدعا لقمان وقال له : لمثل هذا كنت قد خبأتك وادخرتك .

قال : وما ذاك خير حدث ؟ .

فقال : إنيِّ خاطرت أصحابي على شرب ماء بحيرة وفيه هلاكي .

فقال له : أخرج كراسيك وأباريقك ثم اجمعهم وستكفى ما أهمك .

ففعل مولاه ذلك من نصب الكراسي وتهيئة الأباريق مملوءة بالشراب ثم دعا أصحابه فلما اجتمعوا جاءهم لقمان وجلس معهم وقال لهم : على أي شيءٍ خاطرتم فلاناً ؟

قالوا : على شرب ماء بحيرة كذا .

فقال : إنّ بحيرة كذا لها مواد فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها إذ لم يخاطركم على شرب ماء الأرض وإنّما خاطركم على شرب ماء بحيرة على وجه الأرض لا يتكلف بشربه الانسان ، فإن أنتم حبستم موادها فهو على مخاطرته معكم وإن أنتم عجزتم فلا سبيل لكم عليه .

فقالوا : كيف نستطيع حبس مادة سيالة لا تفتر ساعة واحدة ؟

فقال : وكيف يستطيع شرب ماء الأرض إنسان ؟

فسكتوا ، فشكره مولاه على صنيعه وتعجب القوم من قوة حجته وعدم تلجلجه .

ومثل ذلك ما روي عن ابن شهر اشوب أنّ تاجراً سكر فخاطر

نـديمه عـلى شرب مـاء البحـر كله وإلا سلم إليـه مـالـه وأهله ، فلما أصبح وصحا ندم وجعل صاحبه يطالبه بذلك .

فقال له لقمان : أنا اخلصـك بشرط أن لا تعـود الى مثل ذلـك

فقال : نعم .

فقال له : قل لصاحبك انا اشرب الماء الذي فيه الآن فـائتني به أو فسد مواده أي أفواهه وأنا أشرب الماء الذي يكون به فلما اعتـرضه بذلك أمسك عنه .

وجـاء في كتـاب الأذكيـاء لابن الجوزي مـا نصـه : حـدثنـا مكحول : أنّ لقمان الحكيم كان عبداً نوبياً أسود وكان قد أعطاه الله تعـالى الحكمة وكـان لرجـل من بني اسرائيـل اشتراه بثـلاثين مثقـالاً ونصف ، وكـان يعمل لـه ، وكان مـولاه يلعب بالنـرد ويقامـر عليه وكان على بابه نهر جارٍ فلعب يوماً على أنّ من قمر صاحبه شرب مـاء النهر كله أو افتدى منه وإن هو قمر صاحبه فعل به مثل ذلك .

قال : فقُمِر سيد لقمان فقال له القامر : اشرب ما في النهـر والا فافتدِ منه .

قال : فسلني الفدا قال : عينيك أفقؤهما أو جميع ما تملك .

قال : أمهلني يومي هذا .

قال : لك ذلك .

قال : فأمسى كئيباً حزينـاً إذ جاءه لقمـان وقد حمـل حزمـة على ظهـره فسلّم على سيـده ثم وضع مـا معه ورجـع الى سيـده ، وكـان سيده اذا رآه عبث به ويسمع منه الكلمة الحكمية فيعجب منه ، فلما جلس اليه قال لسيده : مالي أراك كئيباً حزيناً ؟ فأعرض عنه فقال له

الثانية مثل ذلك فأعرض عنه ، ثم قال له الثالثة مثل ذلك فأعرض عنه .

فقال له : أخبرني فلعل لك عندي فرجاً ، فقص عليه القصة فقال له لقمان : لا تغتم فإنّ لك عندي فرجاً .

قال له : وما هو ؟

قال : اذا أتاك الرجل فقال لك اشرب ما في النهر فقل له : أشرب ما بين ضفتي النهر أو المد ؟ فإنّه سيقول لك : إشرب ما بين الضفتين ، فإذا قال لك ذلك فقل له : إحبس عني المد حتى أشرب ما بين الضفتين فإنّه لا يستطيع أن يحبس عنك المد فتكون قد خرجت مما ضمنت له . فعرف سيده أنّه قد صدق فطابت نفسه .
فلما أصبح جاءه الرجل فقال له : فِ لي بشرطي .

قال له : نعم أشرب ما بين الضفتين أو المد ؟

قال : لا بل ما بين الضفتين .

قال : فاحبس عني المد .

قال : كيف أستطيع ؟

قال : فخصمه . قال : فأعتقه مولاه .

ظهور حكمة لقمان

قد عرفت آنفاً أنّ أول ما ظهر من حكمة لقمان ما كان منه مع مولاه حين دخل المخرج وكتب على بابه ذلك حرصاً عليه مخافة النسيان وتلاها ما كان من حل القضايا العويصة وغيرها مما يدل على أنّه وحيد تلك الأمة مما أوجب له شهرة عامة عرفه بها كل من كان له أدنى اتصال به حتى صار موضع العجب ، وهل أنّ هذا الحكيم هو ذلك العبد الأسود المملوك لآل فلان والراعي لأغنامهم كما قيل :

إنّ رجلاً من عظماء بني اسرائيل جاء اليه فقال له : « يا لقمان ألم تكن عندنا بالأمس عبداً لفلان ترعى أغنامه » .

قال : نعم .

فقال : فمن أين اوتيت هذه الحكمة ؟

قال : « **بقدر الله ، وصدق الكلام ، وترك ما لا يعني ، وأداء الأمانة** » .

ومرَّ عليه رجل من عظماء الناس والناس مجتمعون حوله يستمعون منه المواعظ والحِكم فقال له :

ألست العبد الأسود الذي كنت راعياً بموضع كذا وكذا ؟

قال : نعم أنا ذاك .

فقال له : فما بلغ بك ما أرى ؟

قال : « **صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعني** » .

وقال له بعضهم ـ ولعله حاسد يشبه الذباب يقع على أخس المواضع ـ ما أقبح وجهك ؟

فقال للقائل : « يا هذا تعيب على النقش أو على فاعل النقش ؟ » يشير إلى أنّ فاعل النقش هو الله سبحانه وتعالى العارف بمخلوقاته وما تقتضيه حكمته فمن أزرى بمخلوق فكأنّما أزرى بالخالق تبارك وتعالى والناس مخابر ليست بمناظر ـ كما عرفت ـ فما الذي ينكر من مخلوق أهّله الله لأن يكون أهلاً للفيوضات الإلٰهية ، وباهى به ملائكته ، وأوحى بمواعظه على سائر أنبيائه وفي مقدمتهم سيد الكل محمد صلّى الله عليه وآله ، وطلب من العالم الانساني أن يأخذوا بها فكان بمنزلة لا يدانيه فيها أحد ، أليس في كل ذلك دلالة واضحة على أنّ الحرية والنسب والمال والجمال والملك والسلطان والزعامة ومعرفة فنون السياسة لا تجدي شيئاً ، وأن لا شيء يقرِّب من الله تعالى إلا العمل الصالح ، والجنة والنار دائرتان مدار الطاعة والمعصية لا الذوات والشخصيات ، وجواب الامام لأبي حمزة الثمالي بعد تصريح القرآن الشريف بذلك في عدة مواضع صريح في ذلك حيث يقول : « **خلق الله الجنة لمن أطاعه ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان سيداً قرشياً** » .

وفي مترجمنا وسلمان الفارسي وبرخ المتقدم ذكره وأمثالهم من العبيد ممن رقوا بأعمالهم إلى الأوج الأعلى ورافقوا الأنبياء في أعلى

عليين ، وأبي لهب عم النبي صلّى الله عليه وآله وابن نوح وجعفر الكذاب وأضرابهم ممن مأواهم جهنم وبئس المهاد آيات للسائلين وعبرة لأولي الأبصار ، قال الأمير أبو فراس الحمداني :

كانت مودة سلمان له رحماً ولم يكن بين نوح وابنه رحم

وقال غيره :

لقد رفع الإسلام سلمان فارس وقد وضع الشرك الشريف أبا لهب

والله تعالى فوق الجميع يقول : ﴿ **إنّ أكرمكم عند الله اتقاكم** ﴾ .

مهنتـه

إنّ من التـدبير الحسن لـذوي المروة والانصـاف لأنفسهم صون وجـوههم عن التكفف والتعفف عما في أيـدي الناس بعمـل يفيدهم ويغنيهم عن ذلك ، فإنّه مع ما اتصف به جهـاد محمود مـوجب للعز والرفعة وخلافه مـع عدم تـأتي المقصود في كثـير من الأحيان مـوجب للذل والسقوط والمهانة ، ففي الخبر : « **لو علم الناس ما في السؤال لما سأل أحد أحداً** » .

وفيه : « **لو أنّ أحدكم أخذ حبلاً فيأتي بحزمة حطب على ظهره فيبيعها ويكف بها وجهه خير له من أن يسأل** » .

وفيه : « **من سأل عن ظهـر غنى فإنّمـا يستكثر من جمـر جهنم ، ومن سأل وله ما يقنيه جـاء يوم القيـامة ووجهـه عظم يتقمقـع ليس عليه لحم** » .

وفيـه : « **من سأل النـاس وعنده قـوت ثلاثـة أيام لقي الله يـوم يلقـاه وليس على وجهـه لحم** » ، مضافـاً الى ذلـك مـا كـل من سـأل اعطي ، وعلى فرضه فمن ذا الذي يرضى لنفسه أن يكون عـالة عـلى من ليس لـه أهلية ذلـك ؟ اللهم إلا ساقط النفس ، واهي الـرأي ، ضعيف الهمـة ، لا يعرف لنفسـه قيمة ولا يقيم لهـا وزناً . ومـا يمنع

الانسان من الاشتغال بسائر الأعمال بعد أن زاولها خيار البشر فهذا رسول الله صلَّى الله عليه وآله زاول التجارة غير مرة أجيراً تارة ومستقلاً اخرى ، وذاك امير المؤمنين صلوات الله عليه كان فلاحاً او زارعاً ، حتى أعتق من عمل يده الف مملوك ، ومن اقتدى به واستضاء بنور علمه كثير من اولي الفضيلة والمكانة السامية .

وهذا من نحن بصدده لقمان الحكيم كان نجاراً او خياطاً بعد أن امتهن رعاية الأغنام سنيناً وهو الذي يقول لولده كما حكى الله تعالى عنه : ﴿ **ولا تصعِّر خدك للناس** ﴾ فكلفه من الأعمال بما يقوم بلوازمه ناهياً له عن الزيادة بقوله : « **ولا تدخل في الدنيا دخولاً يضر بآخرتك** » فإنّهما ضرتان لا يجتمعان مع ما في الميل إلى الدنيا من الذل لاستلزامه الخضوع إلى المخلوق ولو آناً مّا ولا خير في مخلوق يخضع لمخلوق من أجل الحطام البائد .

لا تخضعنّ لمخلوق على طمع ... فإنّ ذلك نقص منك في الدين
واسترزق الله مما في خزائنه ... فإنّ رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملوك كما ... استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

ولا ريب في أنّ الله تبارك وتعالى قادر على أن يرزق عباده جميعاً بدون أي عمل يتكلفون به إذ هو القادر على كل شيء غير أنّه لو كان كذلك لما رأيت مما ترى شيئاً من هذا العالم القائم والنظام المتكون ، وغلب على الناس البغي والفساد والبطالة واللعب واللهو ، وغير ذلك من الأخلاق الرذيلة . ولعل من ذلك شيء موجود في العالم عبرة لأولي الأبصار وذكرى للذاكرين فاقتضت حكمته تبارك وتعالى أن لا يكون شيء إلا بسبب ، ومنه الرزق ، فإنّه قلّ أن يكون بلا

سبب ، فجعل سببه السعي والحركة وهو تبارك وتعالى مسبب الأسباب بلا سبب فقال تعالى : ﴿ **فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور** ﴾ .

وفي الحديث القدسي : (**حرك يدك وعليَّ إجراء الرزق**) .

ويقول تعالى لمريم ابنة عمران عليها السلام ﴿ **وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً** ﴾ وقال الشاعر في ذلك :

ألم ترَ أن الله قال لمريم — وهزي إليك الجذع يساقط الرطب

ولو شاء أن تجنيه من غير هزة — جنته ولكن كل شيءٍ له سبب

بيتــه

البيت هـو المسكن والمأوى والمحل الـذي يـأوي إليـه المخلوق مطلقاً فيلقى فيه كل حشمة ويستريح من كل قيد ولا بد منه لكل إنسان على حسب حاله واقتداره ورغبته وزهده ، وفي الغالب أنّ طول الأعمار يوجب تعمير الديار ولو بالتدريج شيئاً فشيئاً . فتراها غاصة بالاثاث والمتاع ولها دوي بأصوات العبيد والخدم والغلمان يطوفون على الآمرين والآمرات من سكانها المالكين .

بيد أنّ التاريخ يحدثنا عمن عاش الف سنة على أقل الروايات أنّ بيته كوخ من قصب يعرف في زماننا اليوم بـ (**صريفة**) ذاك هو لقمان الحكيم الذي أنهى ذلك العمر الطويل في ذلك البيت الضئيل ، واكتفى من الزوجات بامرأة من أكفائه تحصيناً لفرجه ، وحفظاً لدينه ، وولد له أولاد فسكن هو وولده وزوجته في ذلك البيت المسور بالقصب والمسقف بالسعف أو الليف أوالخوص واكتفى عن الخدم والعبيد بيديه ، وعن الفرش الحريرية والمتكآت الديباجية بما يقي بدنه عن الأرض من حصر خوص النخل وبواري القصب . هذا بيت من عاش الف سنة وهذه أثاثه أضف إلى ذلك ما كان عليه من الضيق حتى قيل له كيف تسكن في هذا البيت

المكان الضيق ؟ فقال : « **وهذا كثير في حق من يموت** » .

كلمة بعيدة المدى غزيرة المعنى لا يعرف حقيقتها إلا الأوحدي من الأبدال أمثال ذاته القدسية . فما أشد حسرة من لم تسعه مئآت القصور الشاهقة حتى وقع من أجل طلب الزيادة في الحرام ، ولم يكتف بأزواجه الحسان حتى تعدى إلى الزنا سراً وإعلاناً ، ولم تكفه خدمه وعبيده حتى تسرب إلى جبر الأنام .

كذلك أحوال الانسان لا تدخل تحت ضابط كما قال تعالى ﴿ **وخلقكم أطواراً** ﴾ وعليه جاء (ما اختلف نوع من الحيوان كاختلاف نوع الانسان) وعند الله تجتمع الخصوم فيجري القصاص في محكمة العدل بقضاء من ﴿ **لم يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها** ﴾ فليتق امرؤ على نفسه وليأخذ حذره .

الزوجات والأولاد

الزوجات : جمع زوجة ، وهي : قرينة الرجل وأليفه وشريكة حياته ، ولزامه ﴿ **هُنَّ لباس لكم وأنتم لباس لهن** ﴾ فلا أحد أقرب إلى الرجل من زوجته ولا أحد أقرب إليها منه ، وحاجة كل منهما للآخر ماسة ولا غناء لكل منهما عن الآخر . وكيف يستغني الانسان عن لباسه ؟

والرغبة في العزوبة مذمومة شرعاً وعرفاً لما يترتب عليها من الأمور المخلة بالدين والشرف والانسانية مضافاً إلى ما تقتضيه من قطع النسل المطلوب اتصاله في نظر الشرع الشريف .

ويكفينا من فضل التزويج ما جاء عنهم عليهم السلام ما معناه : « **ما استفاد الانسان بعد الاسلام بأفضل من زوجة تعينه على دينه ودنياه** » .

وسيأتي ما ورد عن لقمان في خيار النساء وشرارهن ما به كفاية فالتزويج سنة الله وسنة أنبيائه ورسله حتى أنّ النبي الأعظم صلّى الله عليه وآله منح محبته هذا الجنس اللطيف فقال : « **أحب من دنياكم**

ثلاث : النساء ، والطيب ، وقرة عيني الصلاة[1]» .

وبالجملة فقد تزوج لقمان كثيراً من النساء بالتتابع يقصد أسمى غاية مترتبة على ذلك وهي حفظ التناسل المؤدي إلى اتصال النوع الإنساني وهي الغاية المقصودة لدى الشرع الشريف مضافاً إلى ذلك ما قد يتأتى من منافع الولد مما ستعرف قريباً إن شاء الله تعالى .

رزق الله تبارك وتعالى هذا العبد الصالح أولاداً كثيرة غير أنّهم لم يعرفوا ولم يشتهروا حيث إنّ الزمان آلى أن لا يبقي منهم أحداً يعرف إذ نصبهم غرضاً لسهام المنية فلم يزل أبوهم يقدمهم واحداً بعد آخر حامداً لله وشاكراً له فما بكى على أحد منهم كما يبكي غيره .

وفي الأخير سمح له بواحد سماه (باثار) فاعتبره خلفاً عمن سلف فأشفق عليه من هذه الدنيا وخشي عليه أن يكون من المغرورين بها فيهلك فلم تكن له همة إلا تحذيره منها فلم يزل يوصيه بما ينفعه ويحذره عما يضره ، ويؤدبه بآدابه الجامعة لأمور الدارين ، فكان المعلم الروحي له ليلاً ونهاراً وعشية وإبكاراً قائلاً : يا بني يا بني ، فلم يزل كذلك حتى تفطر قلبه وانشقت مرارته فتأثر لموته أثراً شديداً .

ولقد كان مع ابنه المثل الأعلى في الآباء والأبناء وإنّك لو

---

(١) لم اقف على مسنده سوى أنّه مشهور فإن صح فحمله على المجاز اليق بمقام الرسول (ص) عدا الثالث فإنّ حبه خالط لحمه ودمه فما زال منهمكاً فيه حتى نزل عليه الوحي ﴿ **طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى** ﴾ .

تصفحت كتب التاريخ وبطون الأسفار لما وجدت مثلهما إلا نادراً شاذاً . ووجدت الغالب من الناس من لا يؤدي إلى ولده أية نصيحة بل ربما حمله على عقوقه وما يوجب قطعه وعدم صلته فيخرج بذلك عما فطر عليه تدريجاً ، وأبوه السبب الوحيد في ذلك ، فأصبح معه مصداقاً لقول رسول الله صلَّى الله عليه وآله :

« إنّ المولود ليولد على الفطرة حتى يكون أبواه هما اللذان يهودانه وينصرانه » .

صبره

قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ إنّما يوفّى الصابرون أجرهم بغير حساب ﴾ .

عرف لقمان ذلك فأيقن بصدق الوعد من ربه تبارك وتعالى فصبر على كل ما أصابه في دار الدنيا صبراً قلّ أن يستطيعه أحد اللهم إلا أهل بيت النبوة صلوات الله عليهم ، فابتلى بأوباش زمانه وأذناب قومه حتى بلغ بهم الحال معه أنّهم يقابلونه بما يكره فيقولون : (ما أقبح وجهك) إلى غير ذلك غير أنّه يتلقى ذلك برحابة صدر وبشاشة وجه لما جبل عليه من حسن الأخلاق ودماثة الطبع وسلامة الضمير ، أضف إلى ذلك ما ابتلي به من فقد الأحبة الذي قوبل لعظمه بهول المطلع كما جاءت الرواية عن الحسن المجتبى عليه السلام أنّه بكى حال الاحتضار فقال له أخوه الحسين عليه السلام :

ما يبكيك يا أخي ؟

فقال : « أبكي لفراق الأحبة وهول المطلع » .

فكان مما ابتلي به من فقد الأحبة مضافاً إلى فقد الأولاد ما روي

عن عبد الله بن دينار قال : إنّ لقمان قدم من سفر له فتلقاه غلام في الطريق فسأله عما يتعلق به من أهله كما هي عادة المسافر اذا قدم قائلاً له ما فعل أبي .

فقال له : مات .

فقال : الحمد لله عتق نصفي .

فأعاد عليه سائلاً : ما فعلت أمي ؟

فقال : ماتت .

فحمد الله وقال : عتق كلي ، فما فعلت زوجتي ؟

فقال : ماتت .

فقال : جدد فراشي ، ما فعلت اختي ؟

فقال : ماتت .

فقال : سترت عورتي ، فما فعل أخي ؟

فقال : مات .

فقال : انقطع ظهري .

وهذا جواب ظاهر عليه الانكسار مخالف لما تقدمه من الأجوبة ولعله لم يخفَ عليك ما في ذلك من السر الوحيد والحقيقة الراهنة الذين يدعوان الى ذلك حيث إنّ كل فرد مما يتعلق بالانسان بنسبة أو صداقة أو أي علاقة حينما يقدر الله بالفراق الذي لا بد منه بينهما ولو بعد حين يمكن أن يكون له خلف ، وربما كان خيراً منه ، كالزوجة والولد كما يشهد به الوجدان . وقد يكون في فقده راحة وإن لم يكن له خلف كالاخت والبنت ، فإنّ في فقدهما راحة للضمير إذ هما عورة لا يسترها إلا الزوج أو القبر ، والثاني أعظم حفظاً من الأول ، وقد

يكون في الفراق عتق النفس وملك الأمر كفراق الأبوين فقد يكون ولدهما موفقاً لبرهما والإحسان إليهما حتى يبلغا الكبر عنده بدون سأم وتبرم ، وهذا قليل ، وقد يكون رافضاً لهما ولحقوقهما غير معتن بهما فيكون عاقاً لهما مأثوماً لرفضهما وقت حاجتهما لإحسانه وبره فما أعظمها من موبقة كبيرة فلا إشكال أنّ فقدهما أو فقده قبل وقوع ذلك منه راحة له وعتق لنفسه وملك لأمره .

أما فراق الأخ مطلقاً إذا كان متصفاً بمعاني الأخوة فإنّ فيه العطب والهلاك المعبر عنهما بانكسار الظهر أو انقطاعه حيث إنّه يكون خلياً من كل يستند إليه ويعتمد عليه معرضاً للأهواء والأغراض التي كانت ممنوعة منه حال وجود ذلك الأخ الفادي نفسه والباذل مهجته دون أخيه فترى كلاً منهما مستنداً الآخر يحامي عن أخيه اكثر مما يحامي عن نفسه سلاحاً كاملاً مصداقاً لقول :

أخاك أخاك إنّ من لا أخا له   كساعٍ الى الهيجا بغير سلاح

وقول الآخر :

إنّ أخاك الصدق من يسعى معك   ومن يضر نفسه لينفعك

ومن إذا ريب الزمان صدعك   شتت فيك شمله ليجمعك

واليك بيان تلك المعاني التي تصدق معها الأخوة كما جاءت مفصلة في وصية الإمام الحسن بن علي صلوات الله وسلامه عليهما لجنادة :

« إذا صحبته زانك ، وإذا خدمته صانك ، وإذا أردت منه معونة أعانك ، وإن صلت شد صولتك ، وإن قلت صدَّق قولك ، وإن مددت يدك بفضل مدها ، وإن بدت منك ثلمة سدّها ، وإن

رأى منك حسنة عدّها ، إن سألته أعطاك ، وإن سكتّ عنه ابتداك ، وإن نزلت بك إحدى الملمات واساك ، من لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق ، وإن تنازعتما مقتسماً آثرك » .

الأسباب الموجبة للحكمة

مرَّ عليك آنفاً تحت عنوان (مهنته) أنّ الحكمة الجبارة اقتضت أن لا يكون شيء إلا بسبب لذا كان نجاح الأشياء مقروناً بتأتي أسبابها وقلَّ أن يتأتّى السبب ويتخلف المسبب كحكمة لقمان فإنّه لما تأتت أسبابها لم تكن متخلفة فجاءت فوق كل ظن بشكل يبهر العقول قرآناً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد قال الله سبحانه : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ وإليك نبذاً من تلك الأسباب .

كان عليه السلام كثير الصمت إلا في خير ، ولا يعرف منه غير الهدوء والسكينة والوقار ، وكان قوياً في أمر الله لا تأخذه فيه لومة لائم ، متورعاً في الله ، مستكيناً الى جنبه ، عميق النظر ، طويل الفكر ، مستعبراً بالعبر ، لم ينم نهاراً قط ، ولم يره أحد من الناس على بول أو غائط أو اغتسال لشدة تستره وعمق نظره ، وتحفظه في أمره ، ولم يضحك من شيءٍ مخافة الإثم ، ولم يغضب قط ، ولم يمازح إنساناً قط ، ولم يفرح بشيءٍ إن أتاه من أمر الدنيا ، ولم يحزن على شيءٍ فاته منها ، ولم يبك على شيءٍ ذهب من تحت يده من الدنيا قط حتى على موت أولاده فقد قدمهم أفراطاً كما عرفت بل كان كثير

البكاء من خشية الله .

ولم يمر برجلين يتخاصمان إلا أصلح بينهما ولم يفارقهما حتى يتحابا ويتوادا ، وكذا لو مر برجلين يقتتلان لم يمض عنهما ، حتى يتحاجزا .

ولم يسمع من أحد قولاً استحسنه إلا سأله عنه وعن تفسيره وعمن أخذه ، وكان يكثر مجالسة الفقهاء والحكماء .

وكان يغشى القضاة والملوك والسلاطين فيرثي للقضاة بما ابتلوا به ، ويرحم الملوك والسلاطين لغرتهم بالله عز وجل وطمأنينتهم في ذلك . ويتعلم ويعتبر ويتعلم ما يغلب به نفسه ويجاهد به هواه ويحترز به من الشيطان .

وكان يداوي قلبه بالفكر ويداري نفسه بالعِبَر ، وكان لا ينطق إلا فيما يعنيه فبذلك اوتي الحكمة ومنح العصمة .

وقيل له ذات يوم : ألست عبداً لآل فلان ؟

قال : بلى .

قال : فما بلغ بك ما أرى ؟

فقال : صدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وترك ما لا يعني ، وغضي بصري ، وكفي لساني ، وعفتي في بطني وطعمتي ، فمن نقص عن هذا فهو دوني ، ومن زاد عليه فهو فوقي ومن عمله فهو مثلي .

نداء الملائكة

حقاً لقد أمر الله سبحانه وتعالى طوائف من الملائكة أن تنادي لقمان عليه السلام وتوحي إليه أنّ الله تبارك وتعالى اختار خليفة في الأرض يحكم بين الناس بالحق ، وقد كان ذلك عند انتصاف النهار وقت القائلة لما هدأت العيون ونامت الأبصار حيث كان الوقت صائفاً وكان مما نادته به حيث يسمع ولا يَرى :

« يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس » .

فكان **الجواب** منه إن خيَّرني ربِّي قبلت العافية ، وإن أمرني الله عز وجل وعزم عليَّ فالسمع والطاعة ، لأنّه إن فعل ذلك بي أعانني عليه وعصمني وعلمني .

فقالت له الملائكة : لِمَ قلت ذلك ؟

قال : لأنّ الحكم بين الناس بأشد المنازل من الدنيا وأكثر فتناً وبلاء لما يُخذل ولا يُعان ، ويغشاه الظلم من كل مكان ، فصاحبه فيه بين أمرين إن أصاب فيه الحق فبالحري أن يسلم وإن أخطأ أخطأ طريق الجنة ، ومن يكن في الدنيا ذليلاً وضعيفاً كان أهون عليه في المعاد أن يكون فيها سرياً شريفاً ، ومن اختار الدنيا على الآخرة خسرهما

كلتيهما تزول هذه ولا تدرك تلك .

قال : فتعجبت الملائكة من حكمته واستحسن الرحمن منطقه فلما أمسى المساء وأخذ لقمان مضجعه من الليل أنزل الله تعالى عليه الحكمة وغشاه بها من قرنه إلى قدمه وهو نائم وغطي بالحكمة غطاء استيقظ منه ، فلما استيقظ من نومته وإذا هو أحكم الناس وخرج عليهم ينطق بالحكمة ، فكل من سمع كلامه أثبتها فيه ، فاشتهر أمره وشاع ذكره ، فكان الطبيب المداوي للقلوب ، والأب الروحاني لكل من اتصل به ، وعمت إفاداته كثيراً من الناس ، فكان الهداة من أهل زمانه يأتون اليه فيستفيدون منه ويأنسون بمنطقه ويستريحون بحديثه فيكثرون من أجل ذلك مجالسته ، ولا بدع فإنّه المحيي للقلوب الميتة .

هل كان نبياً ؟

إنّ لقمان الحكيم عليه السلام وإن كان في مرتبة النبوة وحد العصمة غير أنّه لم يكن نبياً .

هذا ما صرحت به كتب السير والتواريخ من المصادر الوثيقة كما أنّها صرحت بادعاء عكرمة والشعبي له بالنبوة حيث فسرا الحكمة من الآية الشريفة بها فكان عندهما نبياً .

ومما ينفي النبوة عنه ما جاء في السنة الغراء عن نافع بن عمر عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال : حقاً أقول : لم يكن لقمان نبياً ولكن كان عبداً كثير التفكر ، حسن اليقين ، أحب الله فأحبه ، ومنّ عليه بالحكمة ، كان قائلاً نصف النهار إذ جاءه نداء : يا لقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة ؟ إلى آخر ما تقدم .

منزلته من البشر

جاء في الحديث عن الإمام عليه السلام كما في مجمع البحرين ما نصه : « **ليس من عبد يقبل بقلبه على الله تعالى إلا أقبل الله بقلوب المؤمنين عليه** » .

ومن أظهر المصاديق لهذا الحديث لقمان الحكيم لإقبال المتقين الأبرار والمخلصين الأحرار من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ومن أوقف نفسه على طاعة رب العالمين على ذاته المقدسة ، حيث إنّ الناس لأشكالهم أميل كما جاء في حديث هجر الناس لعلي عليه السلام على رواية ابن الفتال في روضته عن زيد النحوي قال : سألت الخليل بن أحمد العروضي فقلت : لِمَ هجر الناس علياً عليه السلام وقرباه من رسول الله قرباه وموضعه من المسلمين موضعه وعناؤه في الاسلام عناؤه ؟

فقال : بهر والله نوره أنوارهم ، وغلبهم على صفو كل منهل ، والناس لأشكالهم أميل . أما سمعت الأول حيث يقول :

وكلّ شكلٍ لشكله أَلِفٌ   أما ترى الفيل يألف الفيلا

قال : وأنشد الرياشي في معناه عن العباس بن الأحنف :

وقائل كيف تهاجرتما   فقلت قولاً فيه إنصاف

لم يـك من شكـلي ففـارقتــه   والنــاس أشكــال وأصنــاف

فالأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف وشبيه الشيء منجذب اليه .

ومن أتم ما يستدل به على صلاح الإنسان وعدمه هوى الغير لـه ومحبته إياه بشهادة الوجدان .

وإنا اذا أمعنا النظر فيمن يهوى لقمـان ويحبه وجـدناهم سـادات الأمم وروح العــوالم ونخبـة الكـون وحجج الله وأنبيـاءه ورسلـه وخلفاءه. هذا سيد الأولين والآخرين محمـد صلّى الله عليـه وآله إذا ذكـر لقمان أثنى عليـه وأطـراه ، وكـذلـك آلـه خلفـاء الله في أرضـه وقبلهم سـائر الأنبيـاء والمـرسلين ، ولا غـرو فمن يثني عليـه القـرآن ويطريه كانت له هـذه المنزلـة أو تزيـد وأصبح مصـداقاً لحـديث أمير المؤمنـين عليـه السـلام : « **من عُـرف بـالحكمـة لاحظتـه العيــون بالوقار** » .

لقمان في القرآن

ناهيك بمن نوه الله عز ذكره باسمه في قرآنه المجيد إطراء وثناء فذكره لنبيه محمد صلَّى الله عليه وآله في سورة كبيرة سماها باسمه (**سورة لقمان**) أورد فيها خبره مع ابنه واكتفى سبحانه وتعالى عما أراد إيراده في هذا الموضع من الوصايا والمواعظ والحكم بوصايا لقمان لولده ومواعظه وحكمه حاكياً في ذلك حاله معه فهي قرآن قبل أن ينزل القرآن بتأييده لها .

فأي شيء كان لقمان حتى كان حديثه قرآناً يُتلى مدى الدهر وليس بِمَلَكٍ مقرب ولا نبي مرسل ولا وصي نبي ، إذاً فما هو إلا التقى رقى به الى الأوج الأعلى وجعله أكرم الخلق على الله تعالى مصداقاً لقوله تعالى :

﴿ **إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ .

والحديث القدسي : « **عبدي أطعني تكن مثلي تقول للشيء كن فيكون** » .

هذا هو التقى وما يصنع بصاحبه فاعتبروا يا اولي الأبصار واقتدوا بهذا العبد الصالح في أحواله وأفعاله وأقواله ، وخذوا

بنصائحه ومواعظه فقد دلكم القرآن المجيد عليها فإنّه أصدق حديث .

القرآن المجيد دلنا بحق على أنّ لقمان الحكيم كان ذا ورع وصفاء ، وزهد وتقى ، وعفة وإباء ، وصدق ووفاء ، وعبادة ، عالماً عاملاً ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، بهذا ونحوه مما تقدم اوتي الحكمة ، ومنح العصمة ، وحاز ما حاز من الفوز العظيم ، ونال ما نال من الإطراء والثناء الإلهيين ، وخلد له الذكر الجميل القرآني فهو لم يزل غضاً طرياً لم يمت وكيف يموت من يرتل اسمه وتذكر آثاره بكرة وعشياً .

وفي القرآن يقول أمير المؤمنين عليه السلام حاثاً على الأخذ به .

« عليكم كتاب الله فإنّه الحبل المتين ، والنور المبين ، والصراط المستقيم ، والشفاء النافع ، والري الناقع ، والعصمة للمتمسك ، والنجاة للمتعلق ، لا يعوج فيقوم ، ولا يزيغ فيستعتب ، ولا يخلق على كثرة الرد أو الترداد ، من قال به صدق ، ومن عمل به لحق » .

وفي وصفه تقول الصديقة فاطمة الزهراء عليها السلام :

« وبقية استخلفها عليكم كتاب الله الناطق ، والقرآن الصادق ، والنور الساطع ، والضياء اللامع ، بينة بصائره ، منكشفة سرائره ، متجلية ظواهره ، مغتبط به أشياعه ، قائد الى الرضوان اتباعه ، مؤد الى النجاة استماعه ، فيه بيان حجج الله المنورة ، وعزائمه المفسرة ، ومحارمه المحذرة ، وبيناته الجالية ، وبراهينه الكافية ، وفضائله المندوبة ، ورخصه الموهوبة ، وشرائعه المكتوبة » .

سورة لقمان

هي مكية أي انزلت في مكة المكرمة سوى ثلاث آيات انزلت في المدينة المنورة وآياتها بالعدد الحجازي تبلغ ثلاثة وثلاثون كما عن ابن عباس .

وفضلها كما عن ابيّ بن كعب عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال :

« من قرأ سورة لقمان كان لقمان رفيقاً له يوم القيامة واعطي من الحسنات عشر مرات بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر وعدد من عمل بالمنكر » .

وروى محمد بن جبير المزرمي عن أبيه عن أبي جعفر (عليه السلام) قال :

« من قرأ سورة لقمان في ليله وكل الله به ثلاثين ملكاً يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يصبح فإن قرأها في النهار لم يزالوا يحفظونه من إبليس وجنوده حتى يمسي » .

وهاكَ فاقرأ منها جملة الآيات التي لها مساس بالموضوع ثم اقرأ ما جاء في تفسيرها ، فإنّك تجد معارفاً دنيوية واخروية مما لا يستغني عنها كل ذي عقل سليم بل من له أدنى روية وتفكير ، وهي ست آيات فقط .

الأولى ـ قوله تبارك وتعالى :

﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنّما يشكر لنفسه ومن كفر فإنَّ الله غني عن العالمين ﴾ .

الثانية ـ قوله تعالى :

﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنيَّ لا تشرك بالله إنّ الشرك لظلم عظيم ﴾ .

الثالثة ـ قوله تعالى :

﴿ يا بني إنّها إن تك حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأتِ بها الله إنّ الله لطيف خبير ﴾ .

الرابعة ـ قوله تعالى :

﴿ يا بنيِ أقم الصلاة وأمر بالمعروف وانَه عن المنكر واصبر على ما أصابك إنَّ ذلك من عزم الامور ﴾ .

الخامسة ـ قوله تعالى :

﴿ ولا تصعِّر خدك للناس ولا تمش في الأرض مرحاً إنّ الله لا يحب كل مختال فخور ﴾ .

السادسة ـ قوله تعالى :

﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ .

التفسير

عن الثقة الطبرسي رحمه الله في مجمعه والبحراني في برهانه وغيرهما في قوله تعالى :

﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة** ﴾ .

أي أعطيناه العقل ، والعلم والعمل به ، والإصابة في الأمور .

وعن علي بن إبراهيم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال : ﴿ **اوتي معرفة أهل زمانه** ﴾ .

وعن حماد قال : سألت مولاي الصادق عليه السلام عن لقمان وحكمته فقال : ﴿ **ما أوتي لقمان الحكمة بحسب ولا مال ولا أهل ولا بسط في جسم ولا جمال ولكنه كان رجلاً قوياً في أمر الله متورعاً في ذات الله** ﴾ . وساق الحديث بذكر الخصال المذكورة تحت عنوان « الأسباب » فراجع .

قوله تعالى : ﴿ **وإذ قال لقمان لابنه** ﴾ الآية .

أي واذكر يا محمد إذ قال لقمان لابنه﴿**وهو يعظه**﴾ أي يؤدبه ويذكره في حال ما يعظه يقول له :

﴿ **يا بني لا تشرك بالله ـ أي لا تعدل بالله شيئاً في العبادة ـ إنّ الشرك لظلم عظيم**﴾.

أصل الظلم : النقصان ومنع الواجب ، فمن أشرك بالله فقد منع ما أوجب الله عليه من معرفته التوحيد فكان ظالماً ، وقيل : إنّه ظلم نفسه ظلماً عظيماً أي أوبقها .

قوله تعالى : ﴿ **يا بني إنّها إن تك مثقال حبة من خردل** ﴾ الآية .

معناه : إنّ فعل الإنسان من خير أو شر إن كان مثقال حبة من خردل في الوزن يأت بها الله أي يحضره ويجازي عليه بحسبه نظير ﴿ **فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾ .

وقال الزجاج : يروى ان ابن لقمان سأل أباه وقال : يا أبه أرأيت الحبة تكون في مقل البحر ـ أي في مغاصه ـ أيعلمها الله تبارك وتعالى ؟

فقال : إنّها أي التي سألتني عنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أي فتكن الحبة في جبل أي في حجرة عظيمة لأنّ الحبة فيها أخفى وأبعد من الإستخراج أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله أي يحضرها الله يوم القيامة ويجازي عليها أي يأت بوزنها من القدر سواء كان من خير أو شر .

وقيل : معناه يعلمها الله فيأت بها اذا شاء كذلك قليل العمل من خير أو شر يعلمه الله ويجازي عليه فهو مثل قوله تعالى : ﴿ **فمن يعمل** ﴾ الآية .

وروى العياشي عن ابن مسكان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال :

«اتقوا المحقرات من الذنوب فإنّ لها طالباً لا يقولنّ أحدكم اذنب وأستغفر الله إنّ الله تعالى يقول : ﴿ إن تك مثقال حبة من خردل ﴾ الآية إنّ الله لطيف باستخراجها خبير بمستقرها» .

وقيل معناه : إنّ الله سبحانه وتعالى قادر على أن يرزق جميع مخلوقاته أينما كانوا وحتى الدودة في الصخرة الصماء في قعر الماء في البحر المظلم كما هو مؤدى قول الله عز وجل : **﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾** .

والرزق رزقان : رزق بلا سبب وهو الذي يطلبك ، ورزق بسبب وهو الذي تطلبه ، والكل بتوفيق الله سبحانه وتعالى .

قوله تعالى : **﴿ يا بنيَّ أقم الصلاة ﴾** الآية .

أي أدِّ الصلاة المفروضة لوقتها **﴿ وأمر بالمعروف ﴾** وهو الطاعة **﴿ وأنهَ عن المنكر ﴾** وهو كل معصية وقبيح سواء كان من القبائح العقلية أو الشرعية ، فإنّ المعروف ما يدعو اليه العقل والشرع والمنكر والقبيح ما ينهيان عنهما **﴿ واصبر على ما أصابك ﴾** من الأذية والمشقة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عن علي عليه السلام ، وقيل : على ما أصابك من شدائد الدنيا ومكارهها من الأمراض وغيرها **﴿ إنّ ذلك من عزم الأمور ﴾** أي من العقل الصحيح على فعل الحسن بدلاً من فعل القبيح ، والعزم : هو الإرادة المتقدمة على الفعل بأكثر من وقت وهو العقد على الأمر لتوطين النفس على فعله **﴿ ولا تصعِّر خدَّك للناس ﴾** أي ولا تمل بوجهك عن الناس تكبراً

ولا تعرض عمن يكلمك استخفافاً به فلعلك تبتلى بمن قال :

وكنا اذا الجبار صعَّر خده أقمنا له من ميله فتقوَّما

وقيل : ليكن الناس عندك في العلم سواء ، وقيل : لا تذل للناس طمعاً فيما عندهم.

قوله تعالى : ﴿ **ولا تمش في الأرض مرحاً** ﴾.

أي بطراًوخيلاءً ﴿ **إنّ الله لا يحب كل مختالٍ فخور** ﴾ أي متكبِّر فخور على الناس بما رزقه الله من أموال وأولاد وجاه وأعراض وغير ذلك بدلاً عن شكر المنعم ﴿ **واقصد في مشيك** ﴾ أي اجعل مشيك قصداً مستوياً على وجه الأرض بوقار وسكون كقوله تعالى : ﴿ **والذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً** ﴾ ومعناه كله : التواضع في المشي .

قوله تعالى : ﴿ **واغضض من صوتك** ﴾.

أي وأنقص من صوتك إذا دعوت وناجيت ربك موافقاً لقوله تعالى : ﴿ **ادعوا ربكم تضرعاً وخفية** ﴾ وقيل : لا تجهر بصوتك كل الجهر واخفض صوتك ولا ترفعه متطاولاً به ﴿ **إنّ أنكر الأصوات لصوت الحمير** ﴾ أي أقبح الأصوات صوت الحمير ، أوله زفير وآخره شهيق ، وقيل : هو العطسة المرتفعة القبيحة .

وقيل : إنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن معنى ذلك فقال : الله أكرم أن يخلق شيئاً ثم ينكره إنّما هو زريق وصاحبه في تابوت من نار في صورة حمارين اذا شهقا في النار انزعج أهل النار من صراخهما . نسأل الله عافية الدارين .

* * *

لقمان مع ابنه

قد عرفت مما تقدم تحت عنوان « الزوجات والأولاد » أنّ لقمان قد ولد له الكثير من الأولاد فلم يسمح الزمان لذلك الصالح بأفلاذ كبده بل نصب لهم شرك المنية حتى أتى على آخرهم فما بكى على أحد مات منهم لعلمه بعدم الفائدة وتيقنه بالثواب عند الصبر الجميل ووخومة الجزع الذي لا يورث إلا الكآبة والحزن الطويل اللهم إلا بكاء رقة فغير محظور فقد بكى رسول الله صلَّى الله عليه وآله على ولده إبراهيم لما مات وهو ابن ثلاث سنين وقال : « **تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول ما يسخط الرب وانا على ابراهيم لمحزونون** » ولكل مسلم برسول الله اسوة حسنة .

بلى سمح الزمان لذلك العبد الصالح بولد سماه « باثار » فكان القرين له أينما حل ورحل وكان عينه ويده ، حيث حل من قلبه محلاً لا مزيد عليه ، إذ كان بقية من قدَّم من أطفال وشبان ، فما ظنك بمن أخلاه الزمان من عقبه وكلفه بتقديمهم واهدائهم الى الصخور والجنادل ويسمح له بعد حين بولد ، فما يكون ذلك الولد ؟ ذاك قطعة الكبد ، ذاك رأس المال ، وذاك الحياة الخالدة ، ذاك العين الباصرة ، ذاك الروح من الجسد .

وإنما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرض

وقال آخر :

من سره أن يرى الكبدا تمشي على الأرض فليرى الولدا

أجل عقد لقمان آماله الكبيرة على ذلك الولد وحسب أن يكون له ذخراً وخلفاً من بعده ، حيث كان من المعلوم عنده أنّ المرء يموت إلا من ثلاث : صدقة جارية ، وعلم ينتفع به ، وخلف من ولد صالح يدعو له . ولعله أنفع الثلاثة . فقد جاء في الأثر : إنّ عيسى ابن مريم عليه السلام مرَّ ذات يوم على قبر يُعذَّب صاحبه ، فمرَّ عليه بعد حين فرأى العذاب مرفوعاً عنه ، فسأل ربه عن ذلك فقال تعالى : نشأ له ولد فأصلح طريقاً وآوى يتيماً فبذلك رفع عنه العذاب .

لذا ترى العارفين بمثل هذه الحقائق يتضرعون مبتهلين الى الخالق تعالى أن يرزقهم أمثال هذا الولد .

وقول لقمان لولده :

« **إنّك تخلف في سلفك وتنفع من خلفك** » من أظهر الأدلة على ما يرومه العارفون .

وليس غريباً فإنّ كل والد يؤمل في ولده ذلك فربما أصاب وربما أخطأ وجهات الخطأ كثيرة أهمها عدم قابلية الولد للتعليم وطرق الهداية والصلاح كالأراضي الغير القابلة للزرع .

وهداية الولد وصلاحه من جملة الأرزاق وفضل من الله يؤتيه من يشاء .

فاجتهد لقمان وجدّ لتعليم ذلك الولد القابل لكل خير والمستعد لأن يكـون على أرقى درجـة من الكمال فتلقى من والـده البـار تلك الارشادات الدينية والتعاليم الروحية فكان بذلك مثلاً في الأولاد كما أنّ أباه مثلاً في الآباء.

الحقوق

بمناسبة ذكر الوالد مع ولده في العنوان السابق يسرني أن اقدم للقراء الكرام جملة الحقوق اللازمة لكل من الوالدين على ولدهما وحقوقه عليهما نظراً لمزيد الفائدة .

أما حقوق الوالدين فقد نبه القرآن المجيد على كثير منها بأبلغ ما يتصور فقال تعالى :

﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحساناً إمّا يبلغنّ عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما افٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربِّ ارحمهما كما ربياني صغيراً ﴾ .

فأوجب وألزم الولد بهذه الحقوق لوالديه في قبال ما عاناه من أجله مذكراً له جهات الاستحقاق في قوله تعالى :

﴿ ووصينا الإنسان بوالديه حملته امه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً ﴾ .

وأوعد البار بوالديه التجاوز عن سيئاته والجنة في قوله :

﴿ ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون ﴾ .

وتوعد من قال لوالديه أفٍّ فضلاً عن غيرها بالنـار والخسران في قوله تعالى :

﴿ اولئـك الذين حقّ عليهم القـول في امم قد خلت من قبلهم من الجنّ والإنس إنّهم كانوا خاسرين ﴾ .

الى غير ذلك من الآيات المغنية عن تجسيم كل كاتب أو تصـوير كل حاذق .

وأوضحت السنة الغراء تلك الحقوق بما يلي :

أن تحسن صحبتهما ، ولا تكلفهما أن يسـألاك شيئاً ممـا يحتاجـان اليه وإن كانا غنيين » .

ولا تقل لهما أُفّ إن أضجراك ، ولا تنهرهما إن ضرباك .

وأن تقول لهما قولاً كريماً بأن تستغفر لهما وتسترضيهما .

وأن تخفض لهـما جناح الـذل من الرحمـة بأن لا تمـلأ عينيك من النظر إليهما إلا رحمة ورقة .

وأن لا ترفع صوتك فوق صوتيهما ، ولا يدك فـوق يديهـما ، ولا تتقدمهما .

ولا تسميهما باسمهما .

ولا تجلس قبلهما .

ولا تحوّل وجهك عنهما .

ولا تضيق عليهما فيما وسع الله عليك من المأكول والملبوس .

وأن تعظمهما بحق يلزمك ما رأيتهما .

وأن تحملهما عند الكبر الى قضاء الحاجة ، وتضع اللقمة في فيهما

عند العجز .

وتقضي دينهما عند الموت ، وتستغفر لهما وتصلّي وتصوم وتحج وتزكي عنهما تأسياً بالأئمة الطاهرين عليهم السلام فقد كان زين العابدين عليه السلام أبرّ الناس بوالديه ولا يأكل مع امه فقيل له في ذلك فقال : « **أخشى أن أمد يدي إلى ما سبقت عينها إليه فأكون قد عققتها** » .

ويستحب الزيادة في برّ الأم على الأب حتى قيل : إنّ للأم ثلثي البر وللأب الثلث الآخر وقد أمر النبي صلّى الله عليه وآله ببر الأم ثلاث مرات ثم أمر في الرابع ببر الأب .

وسئل صلَّى الله عليه وآله وسلَّم أي الوالدين أعظم حقاً .

فقال صلَّى الله عليه وآله وسلَّم : « **التي حملته بين الجنبين ، وأرضعته الثديين ، وأحضنته الفخذين ، وفدته بالوالدين** » .

وقيل له صلَّى الله عليه وآله : ما حق الوالد ؟ فقال : « **أن تطيعه ما عاش** » .

فقيل له : وما حق الوالدة ؟ فقال : « **هيهات هيهات لو انَّ عدد رمل عالج وقطر المطر أيام الدنيا ما عدل ذلك يوم حملته في بطنها** » .

وقال له صلَّى الله عليه وآله وسلم رجل : إنّ والدتي قد بلغها الكبر وهي عندي الآن أحملها على ظهري وأطعمها من كسبي وأميط عنها الأذى بيدي وأصرف مع ذلك عنها وجهي استحياءً لها منها وإعظاماً لها فهل كافأتها ؟

قال صلّى الله عليه وآله : « **لا ، لأنّ بطنها كان لك وعاءً ، وثديها كان لك سقاءً ، وقدمها لك حذاء ، ويدها لك وقاءً ، وكانت تصنع لك ذلك وهي تتمنى حياتك وأنت تصنع هذا بها وتتمنى موتها** » .

ويحرم عقوق الوالدين شرعاً وعرفاً وعقلاً . وإنّ العاق لوالديه لا يشم ريح الجنة وإنّ ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام ، وعاقبته النار ، كما أنّ عاقبة البار بوالديه الجنة .

مضافاً إلى ذلك إنّ البر بالوالدين يزيد في الرزق ، وينسيء في الأجل ، بل ربما كان ذلك البر دافعاً لأكبر بلية ، ومنجياً من أعظم ورطة ، ومخلِّصاً من هلكة ، كما حدث به ثالث الثلاثة الذين انطبق عليهم باب الكهف فكاد أن يكون قبرهم لولا أنّهم تذاكروا الحسنات فذكر كل منهم حسنة عملها في عمره كان لها أثرها في الإفراج عنهم حتى حدث ثالثهم ببره بوالديه ففرج الله عنهم فخرجوا سالمين .

وورد الأمر ببر الخالة لمن لم يكن له ام والمراد بها اخت الأم لا زوجة الأب كما اصطلح عليه كثير من الناس .

أما حقوق الولد على والديه فيستوفيها كملاً لا يبخس منها شيئاً وهما في غنىً عن الوعد والوعيد والحث والتحريض على القيام بحقوق ولدهما حيث إنّهما بجبلّتهما وطبيعتهما مدفوعان الى ذلك لأنّه منهما وليسا منه كما قيل :

وإنّما أولادنا بيننا   أكبادنا تمشي على الأرض

والأولاد كما قال بعض العارفين لما سئل عنهم :

أولادنا أكبادنا وثمار قلوبنا ، وعماد ظهورنا ، ونحن لهم أرض ذليلة ، وسماء ظلّيلة ، وبهم نصول عند كل جليلة ، فإن طلبوا فأعطهم ، وإن غضبوا فأرضهم ، يمنحوك ودهم ، ويحبوك دهرهم ، ولا تكن عليهم ثقيلاً فيتمنوا وفاتك ، ويكرهوا قربك ، ويملوا حياتك ، فكنت في ذلك قد أعنتهم على عقوقك ، وارتكبت وإياهم محرماً .

فمن حقوق الولد :

تسميته باسم حسن ، وخير الأسماء ما عبد لله تعالى كعبد الله وعبد اللطيف وعبد الرزاق وعبد الرحيم وغير ذلك وبعده أسماء النبي والأئمة عليهم السلام .

وتأديبه بالآداب الكاملة ، ووضعه في موضع حسن في نومه ويقظته والوفاء بما وعده لأنّه يرى أنّه يرزقه .

وتعليمه الطهارة ومعالم الدين والقرآن الكريم ، وكذلك تعليمه السباحة والكتابة إذا كان ذكراً ، والغزل وسورة النور اذا كان انثى .

ومن حقوقه استفراه امه أي : إكرامها وعدم الإساءة إليها الموجبة لحزنه .

ومنها ـ تخفيف الصلاة اذا صرخ ولم يكن من يسكنه .

ومنها ـ تزويجه حال بلوغه .

وورد عن النبي صلّى الله عليه وآله أنّه قال : « رحم الله امرءاً أعان ولده على بره : بأن يتجاوز عن معسوره ، ويقبل ميسوره ، ولا يرهقه ، ولا يخرق به ، ولا يسيئه ، ولا يقطّب في وجهه ،

فليس بينه وبين أن يدخل في حد من حدود الكفر إلا أن يدخل في عقوقه أو قطيعة الرحم ».

وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال :

« أمهل صبيَّك يلعب حتى يأتي له ست سنين ، ثم ضمّه اليك سبع سنين فأدبه بأدبك ، فإن قبل وصلح وأفلح وإلا فخلِّ عنه فإنّه لا خير فيه ».

وعنه عليه السلام أنّه قال :

« الغلام يلعب سبع سنين ، ويتعلم الكتاب سبع سنين ، ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين ».

وعن أمير المؤمنين عليه السلام : « يحسن الى الصبي سبع سنين ، ويؤدب سبعاً ، ويستخدم سبعاً ، ومنتهى طوله ثلاثة وعشرين سنة ، وعقله في خمسة وثلاثين ، وما عدى ذلك بالتجارب ».

وعن النبي صلّى الله عليه وآله : « الولد سيد سبع سنين ، فإن رضيت أخلاقه في إحدى وعشرين سنة وإلا فاضرب على جنبه فقد أعذرت الى الله تعالى ».

فهذا هو القدر اللازم من حقوق الوالدين على ولدهما وحقوقه عليهما فلا يفوتك القيام بذلك لوالديك وولدك فإنّما تقضى هذه الحياة الدنيا والعاقبة لمن اتقى .

ومن وصية رسول الله صلّى الله عليه وآله لعلي عليه السلام مما يشتمل على كثير من المصالح العامة قوله :

« يا علي سر سنتين برَّ والديك ، سر سنة صل رحمك ، سر ميلاً عُد مريضاً ، سر ميلين شيع جنازة ، سر ثلاثة أميال أجب دعوة سر أربعة أميال زر أخاً في الله ، سر خمسة أميال أجب الملهوف ، سر ستة أميال انصر المظلوم ، وعليك بالإستغفار ».

وعن علي عليه السلام قال : قال صلَّى الله عليه وآله :

« للمسلم على أخيه المسلم ثلاثون حقاً لا براءة له منها إلا بالأداء او العفو : يغفر زلته ، ويرحم عبرته ، ويستر عورته ، ويقيل عثرته ، ويقبل معذرته ، ويرد غيبته ، ويديم نصيحته ، ويحفظ خلته ، ويرعى ذمته ، ويعود مرضته ، ويشهد منيته ، ويجيب دعوته ، ويقبل هديته ، ويكافىء صلته ، ويشكر نعمته ، ويحسن نصرته ، ويحفظ حليلته ، ويقضي حامته ، ويشفع مسألته ، ويقبل شفاعته ، ولا يخيب مقصده ، ويشمت عطسته ، وينشد ضالته ، ويرد سلامه ، ويطيّب كلامه ، ويزيد إنعامه ، ويصدق أقسامه ، وينصره ظالماً أو مظلوماً ـ أما نصره ظالماً فيرده عن ظلمه ، وأما نصره مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ـ ويواليه ولا يعاديه ويسلمه ، ولا يخذله ، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه ويكره له من الشر ما يكره لنفسه ».

* * *

تمهيـــد

مـر عليك مـا لا يقل عن نيف وعشـرين فصـلاً من حيـاة هـذا العبد الصالح لعلها جل ما يقصـده المؤرخ من درس حياة أمثـاله من الذين اوقفوا حياتهم على المصالح العامة دنياً واخرى .

وإليـك فـاقـرأ فصـولاً ـ لا تقـل عن نيف وعشـرين فصـلاً من وصاياه ومواعظه ونصائحه درراً ثمينـة وتعاليم قيمـة تضمن لما يقـوم بأود الدنيا والآخرة فإنَّها تؤدب من كان قابلاً للآداب الكماليـة بتمام معانيها وكمال مظاهرها وتشخص للأفراد العالم الفاضل من الجاهـل والبخيـل من الكريم والحـاسد من المحسـود وهلمَّ جرّاً بتمييـز دقيق وتعطيك لكل شيءٍ علامة قرينة قائمة على تميز المطلوب متتـابعة قـد تغنيك عن مطالعة كثير من الكتب .

فهذه الدائرة الجامعة لمعارف الدارين قيمة ذلـك الصالـح لقمان الحكيم لقـول أمير المؤمنـين عليه السـلام : « **قيمـة كـل امـرىء مـا يحسنه** » .

وأعظم بها قيمة تصغر لها السماوات والأرض .

﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾ .

* * *

يا بنـي

(بني) برد المحذوف بعـد قلبه للتصعيـروالأصل فيه بنيؤ ويجمع على بنين من الجمع المذكـر السالم ومفـرده ابن باضـافة همـزة الوصـل فاللفظ يدل على التصغير كما عرفت وللتصغير نكت متضادة منها الرقة والحنان والشفقة كقول الله تعالى حكاية عن نوح عليه السلام : ﴿ **يا بُني اركب معنا** ﴾ الآية . ومنها التعظيم كقول الشاعر :

وكل اناس سوف تدخـل بيتهم دويهيـة تصفـر منهـا الأنـامـل

مراد به التعظيم بدلالة « تصفر منها الأنامل » ولعل ذلـك أعظم في النفوس إيقاعـاً أو من باب حمـل الشيء على ضـده كما يحمـل على نظيره فلقمان في قوله يا بني كنوح في قوله لولـده يا بني في إرادة معنى الحنان والرقة ، غير أنّ ابن لقمـان أطاع أبـاه وابن نوح عصـاه فكان من المغرقين ولم تفد المراجعة بعد العصيان فإنّ نـوحاً لم يـأل جهداً في المـراجعة لاستنقـاذ ولـده حيث يقـول : ﴿ **إنّ ابني من أهلي وإنّ وعدك الحق** ﴾ فاجيب ﴿ **إنّه ليس من أهلك إنّه عمل غير صـالح** ﴾ فـانقطعت العصمـة بينهما بسبب المعصيـة حتى كأنّـه ليس بينه وبينـه رحمية إنّ في ذلك لذكرى لأولي الألباب .

كـانت مـودة سلمـان لـه رحمـاً ولم تكن بـين نـوح وابنـه رحم

وقد تقدم مثل ذلك فراجع .

* * *

العلـم

العلم ضد الجهل ، وكفاه فخراً وقد اطلق في ما يلي من نصائح لقمان على الأدب فكأنّه هو فقال :

يـا بُني إن تأدبت صغيـراً انتفعت به كبيـراً ، ومن عَنى بـالأدب اهتم بـه ، ومن اهتم به تكلّف علمـه واشتد طلبـه له ، ومن اشتـد طلبه له أدرك منفعته . فاتخذه عادة فإنّك تخلف في سلفـك وتنفع من خلفك ، ويرتجيـك فيه راغب ، ويخشى صـولتك مشاغب ، فإيـاك والكسل عنه والطلب لغيره ، فـإن غلبت على الـدنيا فـلا تغلبن على الآخـرة ، واجعل في أيـامك وليـاليـك وسـاعـاتـك نصيبـاً في طلب العلم ، فـإنّك لم تجـد له تضييعـاً أشد من تـركـه ، ولا تمـارينّ فيـه لجوجاً ، ولا تجادلنّ فقيهاً ، ولا تعادينّ سلطاناً ، ولا تمـاشينّ ظلومـاً ولا تصـادقنه ، ولا تصـاحبنّ فاسقـاً ولا متهماً ، واخـزن علمك كـما تخزن ورقك .

يا بني لا تتعلم العلم لتباهي بـه العلماء ، وتماري بـه السفهاء ، وتـرائي بـه في المجـالس ، ولا تتـرك العلم زهـادة فيـه ورغبـة في الجهالة .

يا بني اختر المجـالس على عينيـك فإن رأيت قـوماً يـذكرون الله

فاجلس إليهم ، فإن تكن عالماً ينفعك علمك ويزيدوك علماً وإن كنت متعلماً يعلموك ، ولعل الله يطالعهم برحمته فتعمك معهم ، وإذا رأيت قوماً لا يذكرون الله فلا تجلس إليهم فإنّك إن تكن عالماً لا ينفعك علمك وإن تكن جاهلاً يزيدونك جهلاً ولعل الله يطالعهم بعقوبة فتعمك معهم .

يا بني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولا تجادلهم فيمنعوك حديثهم ، ولا تعجزهم فيملوك ، والطف بهم في السؤال اذا تركوك .

يا بني صاحب العلماء وجالسهم وزرهم في بيوتهم لعلك أن تشبههم فتكون منهم .

يا بني تعلَّم من العلماء ما جهلت ، وعلِّم الناس ما علمت ، تذكر بذلك في الملكوت .

يا بني للعالم ثلاث علامات : العلم بالله ، والعلم بما يكره الله ، والعلم بما يحب الله سبحانه وتعالى .

يا بني أخلص طاعة الله حتى لا تخالطها بشيءٍ من المعاصي ثم زين الطاعة باتباع أهل الحق ، فإنَّ طاعتهم متصلة بطاعة الله ، وزين ذلك بالعلم وحصن علمك بحلم لا يخالطه حمق ، واخزنه بلين لا يخالطه جهل ، واشدده بحزم لا يخالطه ضياع ، وامزج حزمك برفق لا يخالطه عنف .

وقال الصادق عليه السلام قال أمير المؤمنين قيل للعبد الصالح لقمان الحكيم : أي الناس أفضل ؟

فقال : « المؤمن الغني » .

فقيل له : الغني من المال ؟ قال : لا ، ولكن الغنى من العلم الذي إن احتيج اليه انتُفِع بعلمه وإن استغني عنه كان هو أكثر غناءً منهم .

وقيل له : فأي الناس أشر ؟

قال : الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً. والناس بالنظر إلى النوع شرع سواء وإنما يتفاضلون بالعلم والعمل .

ومما ينسب إلى أمير المؤمنين عليه السلام في ذلك قوله :

الناس من جهة التمثال أكفاء	أبوهم آدم والأم حواء
وإنما امهات الناس أوعية	مستودعات وللأحساب آباء
فإن يكن لهم من أصلهم شرف	يفاخرون به فالطين والماء
وإن أتيت بفخر من ذوي نسب	فإنّ نسبتنا جود وعلياء
لا فضل إلا لأهل العلم إنّهم	على الهدى لمن استهدى أدلاء
وقيمة المرىء ما قد كان يحسنه	والجاهلون لأهل العلم أعداء
فقم بعلم ولا تبغي به بدلاً	فالناس موتى وأهل العلم أحياء

* * *

تذييـــل

لعله لم يفت عليـك ما انـطوت عليه هـذه الفقرات الـذهبية من المعاني التي لا تحتاج إلى تفسير من أنّ المراد بالعلم هو الآخـرة حقيقة حيث إنّ صحة الأعمال الدنيوية متوقفة عليه ومنوطة بـه ، فلا غنـاء لأحد عنه ، وإذا كانت المعاملات كذلك فالعبـادات بالـطريق الأولى مدلولـة عليه بحديثي :

« **اطلبوا العلم ولو في الصين** » و« **طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة** » . وفي معنى حديث « **التاجر فاجر مـا لم يتفقه** » أدل دليـل على ذلـك فهو شـريف الى غايـة ما يتصـور فيجب عـلى ذويـه صيانته وحفظه وتعظيمه ، ليعظموا من أجله وتحفظ كرامتهم من قِبله وتـرعى صيانتهم من ناحيته ، وليحـذروا من فعـل العكس فسـوف يلقون غياً لكونهم السبب في إهانته وعدم صيانته كما قال بعضهم :

ولو أنّ أهل العلم صانوه صانهم ... ولـو عظّمـوه في النفوس لعـظّما
ولكن أهـانوه فهـانـوا ودنسـوا ... محيـاه بـالأطمـاع حتى تجهـما

وابن المبارك يقول في ابن عُلية ذلك العالم الذي لم يعـرف للعلم قيمـة ولم يقم له وزنـاً ، بـل جعله شبكـة يصيـد بهـا مـا أمكنـه من

الدنيا :

يا جاعل العلم له بازياً   يصطاد أموال المساكين
احتلت للدنيا ولذاتها   بحيلة تذهب بالدين
فصرت مجنوناً بها بعدما   كنت دواء للمجانين
أين رواياتك في سردها   عن ابن عوف وابن سيرين
أين رواياتك فيما مضى   لترك أبواب السلاطين
إن قلت اكرهت فذا باطل   زلّ حمار العلم في الطين

ويقول العارفون : إنّ العلم لا يترك صاحبه فإما أن يأخذ بيده إلى الجنة وإما الى النار ، وبعضهم يقول :

لو كان في العلم من دون التقى شرف
لكان أفضل خلق الله إبليس

والعالم اذا حفظ ما استودعه الله من العلم وعرف كرامته وصانه عما يشينه رقى به الى الأوج ولا شيء فوق الجنة التي تباح له يوم القيامة فيدخل من أي أبوابها شاء ، كيف لا ومداده يفضل دماء الشهداء حينما يكون عاملاً بما علم ، واذا كان على خلاف ذلك فما أحراه بقول بعضهم وقد كتبه لبعض من يعظون ولا يتّعظون ويعلمون ولا يعملون ناصحاً له حيث يقول ، وبعض النصح تأنيب :

يا أيها الرجل المعلم غيره   هلا لنفسك كان ذا التعليم
تصف الدواء وأنت أحوج للدوا   وتعالج المرضى وأنت سقيم
وأراك تلقح بالرشاد عقولنا   هذا وأنت من الرشاد عقيم
إبدأ بنفسك فانهها عن غيها   فاذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهناك يُسمع ما تقول ويُشتفى　　بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق و تأتيَ مثله　　عار عليك إذا فعلت عظيم

فأجابه يقول :

خذ من علومي ولا تنظر الى عملي
ينفعك علمي ولا تثقلك أوزاري
إنّ العلوم كأشجار لها ثمر
خذ الثمار وخلِّ الجذع للنار

نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل .

* * *

الحذر من الدنيا

عن حماد يرفعه الى أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لقمان لابنه وهو يحذره من الدنيا :

يا بني إنّك منذ سقطت الى الدنيا استدبرتها واستقبلت الآخرة ، فدارٌ أنت إليها تسير أقرب إليك من دارٍ أنت عنها متباعد .

يا بني خذ من الدنيا بلاغاً ولا ترفضها فتكون عيالاً على الناس ، ولا تدخلها دخولاً يضر بآخرتك ، وصم صوماً يقطع شهوتك ، ولا تصم صوماً يمنعك من الصلاة فإنّ الصلاة أحب إلى الله تعالى من الصيام .

يا بني إنّ الدنيا بحر عميق قد هلك فيه عالَم كثير ، فاجعل سفينتك فيها الإيمان بالله ، وشراعها التوكل على الله ، واجعل زادك فيها تقوى الله ، فإن نجوتَ فبرحمة الله ، وإن هلكت فبذنوبك .

يا بني خف الله خوفاً لو أتيته ببر الثقلين خفت أن يعذبك ، وارج الله رجاءً لو أتيته بإثم الثقلين رجوت أن يغفر لك .

فقال ولده : يا أبه وكيف اطيق هذا وإنّما لي قلب واحد ؟

فقال له : يا بني لو استخرج قلب المؤمن فشق لوجد فيه

نوران : نور للخوف ، ونور للرجاء ، ولو وزنا لما زاد أحدهما على الآخر مثقال ذرة ، فمن يؤمن بالله يصدق ما قال الله ، ومن يصدق ما قال الله يفعل ما أمر الله ، ومن لم يفعل ما أمر الله لم يصدق ما قال الله ، فإنّ هذه الأخلاق يشهد بعضها لبعض فمن يؤمن بالله إيماناً صادقاً يعمل لله خالصاً ناصحاً ، ومن عمل لله خالصاً ناصحاً فقد آمن بالله إيماناً صادقاً ، ومن أطاع الله خافه ، ومن خافه فقد أحبه ، ومن أحبه اتبع أمره ، ومن اتبع أمره استوجب جنته ومرضاته ، ومن لم يتبع رضوان الله هان عليه سخطه ، نعوذ بالله من سخط الله .

يا بني لا تركن الى الدنيا ولا تشغل قلبك بها ، فما خلق الله خلقاً هو أهون عليه من الدنيا ، ألا ترى أنّه لم يجعل نعيمها ثواباً للمطيعين ، ولم يجعل بلاءها عقوبة للعاصين .

وفي رواية انه قال لابنه : إنّ الدنيا بحر عميق قد غرق فيه خلق كثير ، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله ، وليكن حشوك فيها إيمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجياً .

يا بني ألا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم ينقصون .

يا بني إنّ الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل ، وقد بقي قليل من قليل القليل .

يا بني لا تؤخر التوبة فإنّ الموت يأتي بغتة .

يا بني لا تشمت بالمصائب ، ولا تعيِّر المبتلى ، ولا تمنع المعروف فإنّه ذخيرة لك في الدنيا والآخرة .

يـا بني إنّك من حـين سقطت من بـطن امك استـدبرت الـدنيا واستقبلت الآخرة ، وأنت في كل يوم الى ما استقبلت أقرب منك الى ما استدبرت ، فتزود لدار أنت مستقبلها وعليك بالتقـوى فإنّـه أربح التجارات ، وإذا أحدثت ذنباً فأتبعـه بالإستغفـار والندم والعـزم على تـرك العود لمثله ، واجعـل الموت نصب عينيـك والوقـوف بين يـدي خالقك ، وتمثل شهادة جوارحك عليك بعملك ، والملائكـة الموكلين تستحي منهم ومن ربك الذي هو مشاهدك ، وتذكر الموت ومـا بعده من الأهوال فتأخذ حذرك .

يا بُني لا تكن في هذه الـدنيا بمنـزلة شـاة وقعت في زرع مخصب فـأكلت حتى سمنت فكان حتفهـا عند سمنهـا ، ولكن اجعل الـدنيا بمنزلة قنطرة على نهر جزتَ عليها وتركتها ولم ترجع إليها آخر الدهر ، وأخربها ولا تعمرها ، فإنّك لم تؤمـر بعمارتهـا ، واعلم أنّك ستسـأل غداً اذا وقـفتَ بين يدي الله تعالى عن أربعة أشياء :

١ ـ شبابك فيما أَبليته .

٢ ـ وعمرك فيما أفنيته .

٣ و٤ ـ ومالك مما اكتسبته وفيما أنفقته ، فتأهب لذلـك وأعد لـه جواباً .

يا بني إنّما أنت عبد مستأجر قد امرت بعمل ووعدتَ عليه أجـراً فأوفه عملك واستوف أجرك .

يا بني لو تعلمت سبعة آلاف من الحكمة فاحفظ منها أربعاً وسر معي الى الجنة :

١ ـ أحكم سفينتك فإنَّ البحر عميق .

٢ ـ وخفف الحمل فإنّ العقبة كؤود .

٣ ـ وأكثر الزاد فإنَّ السفر بعيد .

٤ ـ وأخلص العمل فإنَّ الناقد بصير .

يا بني لا تأس على ما فاتك من الدنيا فإنّ قليل الدنيا لا يدوم بقاؤه ، وكثيرها لا يؤمن بلاؤه ، فخذ حذرك ، وجد في أمرك ، واكشف الغطاء عن وجهك ، وتعرَّض لمعروف ربك وجدد التوبة في قلبك ، واكمش في فراغك قبل أن يقصد قصدك ، ويقضى قضاؤك ، ويحال بينك وبين ما تريد .

يا بني إنَّ الدنيا بحر عميق قد هلك فيه ناس كثير فتزود من عملها واجعل سفينتك الإيمان بالله وحشوها تقوى الله ثم اركب الفلك تنجو وإنِّي لخائف أن لا تنجو .

يا بني الإيمان سفينة ، وشراعها التوكل ، وسكانها الصبر ، ومجاديفها الصوم والصلاة والزكاة .

يا بني من ركب البحر من غير سفينة غرق .

يا بني أقلَّ الكلام واذكر الله تعالى في كل مكان ، فإنّه قد أنذرك وحذرك وبصرك وعلمك .

يا بني اتعظ بالناس قبل أن يتعظوا بك .

يا بني اتعظ بالصغير قبل أن ينزل بك الكبير .

يا بني إياك أن تستدين فتخون في الدين .

يا بني إنّك تخرج من الدنيا فقيراً وتدع أمرك وأموالك عند غيرك قيّماً عليها فتصيِّره أميراً ، فيكون المهنأ له والوزر عليك ، ولا يصحبك من مالك في حفرتك إلا كفنك وأنت عنه مسؤول .

يا بني إنّ الله تعالى قد رهن الناس بأعمالهم ، فويل لهم مما كسبت أيديهم وأفئدتهم .

يا بني لا تأمن من الدنيا والذنوب والشيطان فيها .

يا بني إنّ الشيطان قد افتتن به الصالحون من الأولين ، فكيف ينجو منه الآخرون .

يا بني اجعل الدنيا سجنك فتكون الآخرة جنتك .

يا بني إنّك لم تكلَّف حمل الجبال ، ولن تكلَّف ما لا تطيقه ، فلا تحمل البلاء على كتفك ، ولا تذبح نفسك بيدك .

يا بني إنّه ليس كل من قال اغفر لي غفر له .

يا بني إنّك منذ هبطت من بطن امك استقبلتَ الآخرة واستدبرت الدنيا ، فإنّك إن نلت مستقبلها أولى لك من مستدبرها .

يا بني إنّ كل يوم يأتيك يوم جديد يشهد عليك عند ربٍّ كريم .

يا بني إنَّك مدرج في أكفانك ومحل قبرك ومعاين عملك كله .

يا بني كيف تسكن دار من قد أسخطته ؟؟ أم كيف تأكل رزق من قد عصيته ؟؟ .

وأَختم هذا الفصل بما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في وصفها شعراً :

هي الدنيا تقول بملء فيها | حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغرركم حسن ابتسامي | فقولي مضحك والفعل مبكي
أنا الدنيا كشهد فيه سم | وإلا جيفة طليت بمسك

وقال عليه السلام :

ومن يـذق الدنيا فـإنّي طعمتهـا   وسيق إلينا عـذبها وعـذابهـا
فلم أرهـا إلا غـرورا وبـاطـلاً   كما لاح في أرض الفلاة سـرابها
ومـا هي إلا جيفـة مستحيلة   عليهـا كـلاب همهنّ اجتـذابهـا
فـإن تجتنبهـا كنتَ سلماً لأهلهـا   وإن تجتـذبها نـازعتـك كـلابهـا

* * *

المواعظ والحكم

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه ﴾ .

وقد مرّ بيان ذلك ، فالمواعظ والحكم الواردة عن لقمان الحكيم كثيرة جداً وقد عرفتَ سابقاً قوله : إنّي تعلّمت سبعة آلاف من الحكمة . غير أنّه قد لا يوجد منها سبعمائة لتفرقها في مضامين الكتب وبطون الأسفار ، ولعل ما استأثر به الإهمال أكثر ، وعلى كلٍّ فقد جمعت ما وسعني جمعه تذكرة لمن ادكر ، وذخراً ليوم المحشر ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم والله ولي التوفيق .

قال عليه السلام :

يا بني إقبل وصية الوالد الشفيق .

يا بني لئن تُعرف بالخير فيحبك من لم يصل معروفك إليه ، خير لك من أن تُعرف بالشر فيخشاك من لم تصل إساءتك إليه ، كالحية والعقرب يقتلهما من لم يؤذياه .

يا بني ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة :

١ ـ لا يعرف الشجاع إلا في الحرب .

٢ ـ ولا الحليم إلا عند الغضب .

٣ ـ ولا أخوك إلا عند حاجتك إليه .

يا بني شيئان إذا أنت حفظتهما لا تبالي بما صنعت بعدهما : دينك لمعادك ، ودرهمك لمعاشك .

يا بني عليك بما يعنيك ودع ما لا يعنيك ، فإنّ القليل منها يكفيك ، والكثير منها لا يغنيك .

يا بني لا تؤثرنَّ على نفسك سواها ، ولا تورث مالك أعداءك .

يا بني إنّه قد أُحصي الحلال الصغير فكيف بالحرام الكثير .

يا بني اتق النظر الى ما لا تملكه ، وأطل التفكر في ملكوت السماوات والأرض والجبال وما خلق الله ، فكفى بهذا واعظاً لقلبك .

يا بني بادر بعملك قبل أن يحضر أجلك ، وقبل أن تسير الجبال سيراً ، وتجمع الشمس والقمر ، وتغيَّر السماء وتطوى ، وتنزل الملائكة صفوفاً خائفين حافين مشفقين ، وتكلَّف أن تجوز الصراط ، وتعاين حينئذ عملك ، وتوضع الموازين وتنشر الدواوين .

يا بني أقم الصلاة فإنّها في دين الله كمثل عمود الفسطاط فإنّ العمود اذا استقام نفعت الأطناب والأوتاد والظلال ، وإن لم يستقم لم ينفع طنب ولا وتد ولا ظل .

يا بني إنّ لكلِّ قومٍ كلب فلا تكن كلب قومك .

يا بني نقلتُ الصَّخر وحملتُ الحديد فلم أرَ شيئاً أثقل من

الـدِّين ، وأكلت الـطيبـات ، وعـانقت الحسـان ، فلم أر ألـذ من العافية .

يا بني إياك والكسل والضجر ، فـإنّك إذا كسلتَ لم تؤد حقـاً ، وإذا ضجرتَ لم تصبر على حق ، وإياك وصاحب السوء فإنّه كالسيف المسلول يعجبك منظره ويقبح أثره .

يـا بني إذا أردت أن تؤاخي رجـلاً فـأغضبـه قبـل ذلـك ، فـإن أنصفك عند غضبه وإلا فاحذره .

يـا بني إنِّي ذقت الصبر وأنـواع المر فلم أر أمـر من الفقر ، فـإن افتقـرت فاجعـل فقرك بينـك وبين الله ، ولا تحـدِّث النـاس بفقـرك فتهون عليهم .

يـا بني سل الله من فضله ، ثم سـل في الناس : هـل من أحـد دعا الله فلم يجبه أو سأله فلم يعطه ؟ .

يا بني ثق بالله العظيم عز وجـل ، ثم سل في النـاس : هل من أحد وثق بالله فلم ينجه ؟

يا بني توكل على الله ، ثم سل في الناس : هـل من أحد تـوكل على الله فلم يكفه ؟

يـا بني أحسن الظنَّ بـالله ، ثم سل في النـاس : هـل من أحـد أحسن الظنَّ بالله فلم يكن عند حسن ظنه به ؟ .

يـا بني من يرد رضـوان الله يسخط نفسـه إليـه ، ومن لم يسخط نفسه إليه لم يرضِ ربه ، ومن لا يكظم غيظه يشمت عدوه .

يا بني تعلَّم الحكمة فإنّ الحكمة تدل على الدِّين ، وتشرِّف العبد

على الحر ، وترفع الفقير على الغني ، وتقدم الصغير على الكبير ، وتجلس المسكين مجالس الملوك ، وتزيد الشريف شرفاً والسيد سؤدداً والغني مجداً ، وكيف يظن ابن آدم أن يتهيأ له أمر دينه ومعاشه بغير حكمة ؟ ولن يهيىء الله عز وجل أمر الدنيا والآخرة إلا بالحكمة ، ومثل الحكمة بغير طاعة كمثل الجسد بلا روح ، أو مثل الصعيد بلا ماء ، ولا صلاح للجسد بلا روح ، ولا للصعيد بغير ماء ، ولا للحكمة بغير طاعة .

يا بني من ذا الذي فزع الى الله فلم يجده ؟ ومن ذا الذي التجأ الى الله فلم يدفع عنه ؟ أم من ذا الذي توكل عليه فلم يكفه ؟ .

يا بني أحسن الى من أساء إليك ، ولا تكثر من الدنيا فإنّك على غفلة أو رحلة عنها ، وانظر الى ما يصير منها .

يا بني لا تأكل مال اليتيم فتفتضح يوم القيامة وتكلّف أن ترده اليه .

يا بني لو أنّه أغنى أحد عن أحد لأغنى الوالد عن ولده .

يا بني إنّ النار تحيط بالعالمين كلّهم فلا ينجو منها إلا من رحمه الله وقربه منه .

يا بني لا يغرنك خبيث اللسان ، فإنّه يُختم على لسانه وتتكلم جوارحه وتشهد عليه .

يا بني لا تشتم الناس فتكون أنت الذي شتمت أباك .

يا بني لا يعجبك إحسانك ولا تتعظمنّ بعملك الصالح فتهلك .

يا بني كما تنام كذلك تموت وكما تستيقظ كذلك تبعث .

يا بني كذب من قال : إنّ الشر يطفأ بالشر ، فإن كان صادقاً فليوقد نارين هل تطفىء أحدهما الأخرى ؟ وإنّما يطفأ الشر بالخير .

يا بني بعِ دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً ، ولا تبع آخرتك بدنياك تخسرهما جميعاً .

يا بني اتخذ تقوى الله تجارة تأتك الأرباح من غير بضاعة .

يا بني كن أميناً تعش غنياً .

يا بني اذا أخطأت خطيئة فابعث في أثرها صدقة .

يا بني إنّ الموعظة تشق على السفيه كما يشق الصعود على الشيخ الكبير .

يا بني لا ترثِ لمن ظلمته ولكن ارثِ لسوء ما جنيته على نفسك ، واذا دعتك القدرة الى ظلم الناس فاذكر قدرة الله عليك .

يا بني إنّه لا يغفر إلا لمن عمل بطاعة الله .

يا بني من ذا الذي عبد الله فخذله ؟ ومن ذا الذي ابتغاه فلم يجده ؟ ومن ذا الذي ذكره فلم يذكره ؟ ومن ذا الذي توكل عليه فوكله الى غيره ؟ ومن ذا الذي فزع اليه جل ذكره فلم يرحمه ؟

يا بني سيد أخلاق الحكمة دين الله ، ومثل الدِّين كشجرة نابتة ، فالإيمان بالله ماؤها ، والصلاة عروقها ، والزكاة جذعها ، والتآخي في الله أغصانها ، والأخلاق الحسنة أوراقها ، والخروج من معاصي الله ثمرتها ، ولا تكمل الشجرة إلا بثمرة طيبة . كذلك الدين لا يكمل بالخروج عن المحارم .

يا بني عليك بالموعظة فاعمل بها ، فإنّها عند العاقل أحلى من العسل الشهد ، ولا تسمع الملاهي فإنّها تنسيك الآخرة ، ولكن احضر الجنائز وزر المقابر وتذكر الموت وما بعده من الأهوال فتأخذ حذرك .

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام : كان مما وعظ به لقمان ابنه أن قال : يا بني ليعتبر مَن قصر يقينه وضعفت نيته في طلب الرزق ، أنّ الله تعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره وآتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة ، وأنّ الله تعالى سيرزقه في الحالة الرابعة :

أما الأولى ـ فكان في بطن أُمه في قرار مكين يرزقه حيث لا يؤذيه حر ولا برد .

وأما الثانية ـ لما أخرجه من بطن أمه أجرى له رزقاً من لبنها يكفيه به ويربيه من غير حول به ولا قوة .

وأما الثالثة ـ لما فطم من الرضاع أجرى له رزقاً من كسب أبويه رأفة من قلوبهما له لا يملكان غير ذلك حتى أنّهما يؤثرانه على أنفسهما في أحوال كثيرة .

وأما الرابعة ـ اذا كبر وعقل واكتسب لنفسه وضاق به أمره ، ظن الظنون بربه ، وجحد الحقوق في ماله ، وقتّر على نفسه وعياله مخافة إقتار رزقٍ وسوء يقين بالخلف بالله تعالى في العاجل والآجل ، فبئس العبد هذا يا بني ! ! .

يا بني إن تك في شك من الموت فادفع عن نفسك النوم ، ولن تستطيع أبداً . وإن كنت في شك من البعث فادفع عن نفسك

الإنتباه ، ولن تستطيع ذلك أبداً ، فإنّـك اذا فكرت في ذلـك علمتَ أنّ نفسك بيد غيرك ، وإنّما النوم بمنزلـة الموت ، وإنّمـا اليقظة بمنـزلة البعث بعد الموت .

يا بني لا تقترب فيكون أبعد لك ، ولا تقرب فتهان ، كل دابـة تحب مثلها ، وابن آدم لا يحب مثله ، فلا تنشر برك إلا عند باغيه .

يا بني لا يستطاع العمـل إلا باليقـين ، ولا يعمل المـرء إلا بقدر يقينه ، ولا يقصر عامل حتى ينقص يقينه .

يـا بني لا تضـع بـرك إلا عنـد راعيـه ، كـما ليس بـين الكبش والذئب خلّة كذلك ليس بين البار والفاجر خلّة .

يا بني لا تتخذ الجاهل رسولاً ، فانْ لم تصب عاقلاً حكيماً يكون رسولك فكن أنت رسول نفسك .

يا بني من يحب المراء يشتم ، ومن يدخل مداخل السـوء يتهم ، ومن يعاون قرين السوء لا يسلم ، ومن لا يملك لسانه يندم .

يا بني كن عبداً للأخيار ، ولا تكن خليلا للفجار الأشرار .

يـا بني كن أميناً تعش غنيـاً ، ولا تـري النـاس أنّـك تخشى الله وقلبك فاجر .

يا بني لا تطلب من الأمور مدبراً ، ولا ترفض منها مقبلاً ، فإنّه يضل الرأي ويزري بالعقل .

يا بني إياك والتقنّع ، فإنّه بالنهار شهرة وبالليل ريبة .

يا بني لا تأمر الناس بالبر وتنسى نفسـك ، فيكون مَثلك كمثـل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه .

يا بنيّ :

لا تحقرنّ من الأمور صغارها ... إنَّ الصغار غداً تكون كبارا

ولعل يحدوك الزمان لحاجة ... عند الصغير فتدحرنَّ صَغارا

فاربأ بنفسك إنَّها الدنيا فلا ... تبقي لباغيها هناً وقرارا

يا بني إياك والكذب فإنّه يفسد دينك ، وينقص عند الناس مروتك ، فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك ، فتهان ولا يسمع منك إذا حدثت ولا تصدق اذا قلت ، فلا خير في العيش اذا كان هكذا .

يا بني إياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر ، فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولا يزال لك من الناس عليها مجانب ، وأَلزم نفسك التودد في أمورك والصبر على مرارات الأحوال ، وأحسن مع جميع الناس خلقك فإنّ من حسن خلقه وأظهر بشره وبسطه حظي عند الأبرار ، وأحبه الأخيار ، وجانبه الفجار .

يا بني لا تعلِّق نفسك بالهموم ، ولا تشغل قلبك بالأحزان ، وإياك والطمع ، وارض بالقضاء ، واقنع بما قسم الله يصفو عيشك ، وتسر نفسك ، وتستلذ حياتك وإن أردت أن يجتمع لك غِنى الدنيا فاقطع طمعك عما في أيدي الناس ، فما بلغ الأنبياء الصديقون ما بلغوا إلا بقطع طمعهم عما في أيدي الناس .

يا بني اجعل معروفك في أهله ، ولا تجعله في غير أهله فتخسره في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة ؛ وكن مقتصداً ولا تكن مبذراً ، ولا تمسك المال تقتيراً ، ولا تنفقه تبذيراً .

يا بني إلزم الحكمة تكرم بها ، وأعزها تعزّ بها ، وسيد أخلاق

الحكمة دين الله عز وجل .

يا بني لا يكن الديك أكيس منك وأكثر محافظة على الصلاة ، ألا تراه يؤذن لكل صلاة في وقتها ، وبالأسحار يعلن بصوته وأنت نائم .

يا بني من لا يملك لسانه يندم ، ومن يكثر الكلام يشتم ، ومن يدخل مداخل السوء يتهم ، ومن يصاحب صاحب السوء لا يسلم ، ومن يجالس العلماء يغنم .

يا بني اجعل غناك في نفسك ، واذا افتقرتَ فلا تحدِّث الناس بفقرك فتهون عليهم ، ولكن سل الله من فضله .

يا بني ثلاثة تجب مداراتهم عليك : المريض ، والسلطان ، والمرأة . وكن قانعا تعش غنياً ، وكن متقياً تعش عزيزاً .

يا بني الظلم ظلمات ، ويوم القيامة حسرات .

يا بني أغنى الناس من قنع بما في يديه ، وأفقر الناس من مدَّ عينيه إلى ما في يد الناس .

يا بني عليك باليأس عما في أيدي الناس ، والوثوق بما وعد الله ، واسع فيما فرض عليك ، ودع السعي فيما ضمن لك ، وتوكل على الله في كل امورك يكفك ، واذا صلَّيت فصلِّ صلاة مودِّع تظن أن لا تبقى بعدها أبداً . وإياك وما تعتذر منه فإنّه لا يعتذر من خير ، وأحبب الى الناس ما تحب لنفسك ، واكره لهم ما تكره لنفسك ، ولا تقل ما لا تعلم ، واجهد أن يكون اليوم خير لك من أمس ، وغداً خير لك من اليوم ، فإنّه من استوى يوماه فهو مغبون ، ومن كان يومه شر من أمسه فهو ملعون ، وارض بقسم الله

لك ، فإنّه سبحانه يقول : أعظم عبادي ذنباً من لم يرض بقضائي ، ولم يشكر على نعمائي ، ولم يصبر على بلائي .

يـا بني استصلح الأهلين والإخوان من أهـل العلم إن استقامـوا لـك على الـوفاء ، واحـذر عنـد انصـراف الحال بهم عنـك ، فـإنّ عـداوتهم أشد مضـرة عليك من عـداوة الأباعـد ، لتصـديق النـاس إياهم لاطلاعهم عليك .

يا بني إياك والضجر وسوء الخلق وقلة الصبر ، فلا يستقيم لـك على هذه الخصـال صاحب ، وألـزم نفسك التـوئدة في جميع أمـورك وصبِّر عـلى مؤنـات الإخـوان نفســك ، وحسِّن مـع جميـع النـاس خُلُقك .

يا بني لئن يضربك الحكيم فيؤذيك خير من أن يدهنك الجاهـل بدهن طيب .

يا بني إن عدمك ما تصل قرابتـك وتتفضل بـه على إخـوانك ، فلا يعدمك حسن معاشرتهم والتودد إليهم .

يا بني احذر الحسد فلا يكن من شـأنك ، واجتنب سـوء الخُلُق فلا يكن من طبعك ، فإنّك لا تضربهما إلا نفسـك ، واذا كنت أنت الضار لنفسك كفيت عدوك أمرك ، لأنّ عداوتك لنفسك أضر عليك من عداوة غيرك .

يا بني إجعل معروفك في أهله وكن فيه طالبـاً لثواب الله ، وكن مقتصداً ، ولا تمسكه تقتيراً ولا تعطه تبذيراً .

يا بني إنّ أشد العدم عدم القلب ، وإنّ أعظم المصائب مصيبـة

الدِّين ، وأسنى المرزئة مرزئتـه ، وأنفع الغنى غنى القلب ، فتلبَّث في كل ذلك ، والزم الرضا والقناعة والرضا بما قسم الله ، وإنّ السـارق اذا سرق حسبه الله من رزقه ، وكان عليه إثمه ، ولو صبر لنال ذلك وجاءه من وجهه .

يا بني ليس مال كصحة ، ولا نعيم كطيب نفس .

يا بني إعتزل الشرَّ يعتزلك .

يا بني ضرب الوالد لولده كالماء للزرع .

يا بني اذا راقبتَ الله تعالى لم تقدم على معصية أبداً ، لأنه بمجرد التفاتك الى أنّه يراك ويطّلع عليك يمنعك الحياء من مخالفته .

يا بني أكلتُ الحنظلَ وذقتُ الصَّبرَ فلم أرَ شيئاً أمرَّ من الفقر .

يـا بني كن على حـذر من اللئيم اذا أكـرمتـه ، ومن الكـريم اذا أهنتـه ، ومن العاقـل اذا هجوتـه ، ومن الأحمق اذا مـازحتـه ، ومن الجـاهل اذا صـاحبته ، ومن الفـاجر اذا خـاصمته ، وتمـام المعـروف تعجيله .

يـا بني ثـلاثـة تحسن بـالإنسـان : حسن المحضر ، واحتمـال الإخوان ، وقلة الملل للصديق . وأول الغضب جنون وآخره ندم .

يـا بني ثلاثـة فيهم الرشـد : مشاورة النـاصح ، ومـداراة العدو والحاسد ، والتحبب لكل أحد .

يـا بني من وثق بثلاثـة أشياء لا بـد وأن يكون مغـروراً : الذي يصدِّق ما لا يراه ، ويركن الى من لا يثق به ، يطمع فيما لا يناله .

يـا بني إحـذر الحسـد فـإنّـه يفسـد الـدِّين ، ويضعـف النفس ، ويعقب الندم .

يـا بني إنّي حملت الجندلَ والحـديدَ وكـلَّ حمل ثقيـل ، فلم أجـد أثقل من جار السوء ، وذقت المرارة كلّه فلم اذق أمرَّ من الفقر .

يا بني إياك والكذب ، فإنّـه شهيّ كلحم العصفور ، وعـما قليل يُقلى صاحبه .

يـا بني إحضر الجنائـز ولا تحضر العرس ، فـإنّ الجنائـز تذكّـرك الآخرة ، والعرس يشهِّيك الدنيا .

يا بني لا تأكل شبعاً عـلى شبع ، فإنّك إن تلقه الى الكلب خـير لك من أن تأكله .

يا بني لا تكن حلواً فتؤكل ، ولا مرّاً فتلفظ .

يـا بني لا يطأ بسـاطك الا راغب فيـك أو راهب منكر منـك ، فأما الراغب فيك فأظهر لـه البشاشـة مع صفـاء الباطن لـه ، وابدأه بالنوال قبل السؤال ، فإنّك إن تلجئه الى السؤال منك تأخـذ من حُرِّ وجهه ضعفي ما تعطيه ، وأنشدوا :

اذا أعـطيتني بسؤال وجهـي فقـد أعـطيتني وأخـذت منيّ

وأمـا الراهب منـك الخـائف ، فـأدنِ مجلسـه وتهلل في وجهـه ، وإياك والغمز من ورائه .

يـا بني ابسط حلمـك للقـريب والبعيـد ، وأمسـك جهلك عن الكريم واللئيم ، وصل أقاربك ، وليكن إخوانك من اذا فـارقتهم لم تعبهم ولم يعيبوك .

يـا بني إنّما هـو خَلاقـك وخُلقك فخـلاقـك دينـك وحصنـك ، وخُلقـك بينـك وبـين النـاس ، فـلا تتبغّض إليهم ، وتعلَّم محـاسن

الأخلاق . وإنيّ لا أسأل عما كفيته ، ولا اتكلّف ما لا يعنيني .

يا بني من تقرب الى الزفت تعلق به بعضه ، كذلك من يشارك الكافر يتعلم من طرقه .

يا بني أدِّ الأمانة تسلم دنياك وآخرتك ، وكن أميناً ، فإنَّ الله جلَّ وعلا لا يحب الخائنين .

يا بني الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق .

يا بني لو كانت البيوت على العمل ما جاور رجل جار سوءٍ أبداً .

يا بني الوحدة خير من صاحب السوء .

يا بني جاور المساكين واخصص المساكين والفقراء من المسلمين .

يا بني كن لليتيم كالأب الرَّحيم ، وللأرملة كالزوج العطوف .

يا بني المحسن يكافأ بإحسانه والمسيء تكفيه إساءته ، لو جهدت أن تفعل به أكثر من فعله بنفسه ما قدرت عليه .

يا بني شاور الكبير ولا تستحيي من مشاورة الصغير .

يا بني إياك ومصاحبة الفساق ، فإنّما هم كالكلاب : إن وجدوا عندك شيئاً أكلوه ، وإلا ذموك وفضحوك ، فإنّما حبهم بينهم ساعة .

يا بني معاداة المؤمن خير من معاداة الفاسق .

يا بني المؤمن تظلمه ولا يظلمك ، وتغضب عليه ويرضى عنك ، والفاسق لا يراقب الله فكيف يراقبك ؟؟

يا بني إبدأ الناس بالسلام والمصافحة قبل الكلام .

يا بنيّ لا تكالب الناس فيمقتوك ، ولا تكن مهيناً فيذلـوك ، ولا تكن حلواً فيأكلوك ، ولا مراً فيرفضوك .

يا بني لا تخاصم في علم الله فإنّ علم الله لا يدرك ولا يحصى .

يا بني خف الله مخافةً لا تيأس من رحمته ، وارجه رجـاءً لا تأمن من مكره .

يا بني إنه النفس عن هواها ، فإنّك إن لم تنه النفس عن هواهـا لم تدخل الجنة ولن تراها .

يـا بني إياك والتجبـر والتكبر والفخـر فتجـاور إبليس في داره ، واعلم أنّك ساكن القبور .

يا بني إعلم أنّ من جاور إبليس وقع في دار الهوان لا يموت فيها ولا يحيـا .

يا بني ويل لمن تجبّـر وتكبّر ، وكيف يتعـظم من خُلِق من الطّين والى الطين يعود ، ثم لا يدري الى ما يصير : الى الجنة فقد فاز ، أو الى النار فقد خسر خسراناً مبيناً وخاب ؟ ! أم كيف يتجبّـر من جرى في مجرى البول مرتين ؟ !

يـا بني كيف ينام ابن آدم والمـوت يـطلبـه ؟ وكيف يغفـل وليس بمغفول عنه ؟ !

يا بني إنَّه قد مات أصفياء الله عز وجل وأحباؤه وأنبياؤه صلوات الله عليهم ، فمن ذا بعدهم فيترك فيخلَّد ؟؟ .

يـا بني أَحثـك عـلى ست خصـال ، ليس منهـا خصلة الا وهي تقربك الى رضوان الله عز وجل وتبعدك من سخطه :

الأولى : أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً .

الثانية : الرضا بقدر الله فيما أحببت أو كرهت .

الثالثة : أن تحب في الله وتكره في الله سبحانه وتعالى .

الرابعة : أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك .

الخامسة : تكظم الغيظ وتحسن الى من أساء إليك .

السادسة : ترك الهوى ومخالفة الرَّدى .

* * *

العقـل

جـاء في كتاب (الأذكيـاء) عن إدريس عن جده وهب بن منبـه أنّ لقمان قال لابنه : يا بني لا يتم عقـل امرىءٍ حتى يكـون فيه عشر خصال :

الكبـر منه مـأمون ، والـرشد فيـه مأمـول ، يصيب من الـدنيـا القـوت ، وفضل مـاله مبـذول ، التواضـع أحب إليه من الشـرف ، والـذل أحب إليه من العـز ، لا يسأم من طلب الفقـه طول دهـره ، ولا يتبـرَّم من طلب الحوائـج من قبله ، يستكـثر قليـل المعـروف من غيره ، ويستقل كثير المعروف من نفسه .

والخصلة العـاشرة التي بهـا مجده وإعـلاء ذكره : أن يـرى جميـع أهلِ الدنيا خيراً منـه ، وأنّه شـرهم ، وإن رأى خيراً منـه سرّه ذلـك وتمنّى أن يلحق بـه ، وإن رأى شراً منـه قال : لعـل هذا ينجـو وأنـا أهلك ، فهنالك حين استكمل العقل .

وفيه ـ عن مكحول : أنّ لقمان قال لابنه :

غـاية الشـرف والسؤدد حسن العقـل ، ومن حسن عقله غـطى ذلك جميع ذنوبه ، وأصلح ذلك مساويه ورضي عنه مولاه الخ .

وقال : يا بني إعقـل عن الله عز وجـل ، فإنّ أعقـل النـاس عن

الله عـز وجل أحسنهم عمـلاً ، وإنّ الشيـطان ليفـر من العـاقـل ولا يستطيع أن يكايده .

يا بني ما عُبِد الله تبارك وتعالى بشيءٍ أفضل من العقل .

وحكي أنّه قيل للقمان : ـ من العاقل ؟

فقـال : الذي لا يصنـع في السر ما يستحي منـه في العلانيـة ، وإنّ حسن طلب الحـاجة نصف العلم ، والتودد الى الناس نصف العقل ، والتقدير في المعيشة نصف الكسب .

وجنود العقل كما عن عالم أهل البيت عليهم السلام :

الخـير وزير العقـل ، الإخلاص ، العلم ، التهيئـة ، الـرفق ، الستر ، النفس الصبر ، التـذكرة ، التـوبة ، الـدعاء ، التصـديق ، الإسلام ، الشهامة ، المداراة ، البركة ، الرهبة ، الحلم ، النظافة ، الراحة ، الحفظ ، المواساة، النشـاط ، السلامـة ، الحق ، الإيمان ، الـطمع في الغفـران ، سلامـة العيب ، البر للوالـدين ، الصمت ، العفـو ، السهولـة ، الحكمة ، المـودة ، الفرح ، الإلفـة ، العدل ، الأمانة ، التـوكل ، الصـلاة ، العفة ، الحقيقـة ، التقية ، الـرحمة ، الصفا ، الوقـار ، الإستغفار ، السخـاء ، الحب في الله عز وجـل ، الفهم ، الصوم ، الزهد ، التواضـع ، والإنصاف ، الحيـاء ، الغنى بـالله عـز وجـل ، التعـطف ، المحـافـظة ، الإغضـاء ، الصـدق ، الـرجـاء ، المعـرفـة ، الجهـاد ، الكتمـان ، التؤدة ، الإستسـلام ، القصد ، العافيـة ، القناعـة ، الوفـا ، الشكر ، الـرضا ، الـرأفة ، الحـج ، صون الحـديث ، المعروف ، التسليم ، اليقـين ، القـوام ،

السعادة ، الطاعة . . الخ .

وبالجملة : فالعقل ما عُقِل به عن السّيئات وحض القلب على الحسنات ، والعقل معقل عن الدنيات ، ونجاة من المهلكات ، والنظر في العواقب قبل حلول المصائب ، والوقوف عند مقادير الأشياء قولاً وفعلاً ، وقد أجمع الحكماء والعلماء والفقهاء أنّ جميع الأمور كلها قليلها وجليلها محتاجة الى العقل ، والعقل محتاج الى التجربة .

وقالوا : العقل سلطان وله جنود ، فرأس جنوده التجربة ، ثم التمييز ، ثم الفكر ، ثم الفهم ، ثم الحفظ ، ثم سرور الروح ، لأنّ به ثبات الجسم ، والروح سراج نوره العقل .

وفي الحديث : ما قسم الله لعباده خيراً من العقل .

وروي أنّ جبرئيل عليه السلام أَتى آدم عليه السلام فقال : إني أتيتك بثلاث فاختر واحدة منهنَّ .

فقال : وما هي ؟

فقال : الحياء ، والعقل ، والدين .

فقال آدم : قد اخترت العقل ، فخرج جبرئيل الى الدين والحياء وقال لهما : إرجعا فقد اختار العقل عليكما ، **فقالا** : إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان .

وقال بعضهم : من استرشد الى طريق الحزم بغير دليل العقل فقد أخطأ منهاج الصواب ، والعقل مصباح يكشف به عن الجهالة ، ويبصر به الفضل من الضلالة ، ولو صور العقل لا ظلمت معه الشمس ، ولو صور الجهل لأضاء معه الليل ، وما شيء أحسن من

عقل زانه أدب ، ومن علم زانه ورع ، ومن حلم زانه رفق ، ومن رفق زانه تقوى .

وروي أنّ جبرئيل أتى النبي صلّى الله عليه وآله وقال : يا محمد أتيتك بمكارم الأخلاق كلها في الدنيا والآخرة .

فقال صلّى الله عليه وآله وما هي ؟

فقال : ﴿ خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين ﴾ وهو يا محمد عفوك عمن ظلمك ، وإعطاء من حرمك ، وصلة من قطعك ، وإحسانك إلى من أساء إليك ، واستغفارك لمن اغتابك ، ونصحك لمن غشّك ، وحلمك عمن أغضبك ، فهذه الخصال قد تضمنت مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة وأنشد بعضهم قوله :

خذ العفو وأمر بعرف كما أُمرتَ وأعرض عن الجاهلين

ولن في الكلام لكل الأنام فمستحسن من ذوي الناقصين

ومن طرق العقل الحميدة : القناعة وهي كنز لا يفنى ، والصدقة وهي عز باق ، وتمام عزِّ الرجل استغناؤه عن الناس .

ومن طرقه أيضاً الحياء وقد قيل :

إذا قلَّ ماء الوجه قلَّ حياؤه ولا خير في وجهٍ اذا قلَّ ماؤه

ومنها حسن الخُلُق ، وعن النبي صلَّى الله عليه وآله أنّه قال : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خُلُقاً » .

وروي أنّ يحيى بن زكريا لقي عيسى بن مريم عليهم السلام فتبسّم في وجهه فقال يحيى : مالي أراك لاهياً كأنّك آمن ؟ .

فقال عيسى : مالي أراك عابساً كأنّك آيس ؟

فقالا : لا نبرح حتى ينـزل علينا وحي ، فـأوحى الله عز وجـل إليهما : أحبّكما إليَّ أحسنكما خُلُقاً .

* * *

حديث البهيمة

قف على حديث البهيمة وادرس منه حالة البشر وخذ لنفسك منه ما تستطيع أن تكون ممن نظر فاعتبر ، وتفكر فأبصر .

روي أنّ لقمان عليه السلام قال لولده في وصية : **لا تعلق قلبك برضى الناس ومدحهم وذمهم ، فإنّ ذلك لا يحصل ولو بالغ الإنسان في تحصيله بغاية قدرته .**

وهذا معنى ما جاء عن سادات البشر عليهم السلام : « **رضى الناس غاية لا تدرك** » .

فقال له ولده ـ ما معناه ـ : أحبّ أن أرى لذلك مثالاً أو فعالاً ؟

فقال له : أخرج أنا وأنت . **فخرجا وأخذا بيهمة من الأُتُن ،** فركبها لقمان وترك ولده يمشي خلفه ، **فاجتازا على قوم فقالوا : هذا** شيخ قاسي القلب ، قليل الرحمة ، **يركب هو الدابة وهو أقوى من** هذا الصبي ويتركه يمشي وراءه ، **إنّ هذا بئس التدبير .**

فقال لولده : سمعت قولهم وإنكارهم لركوبي ومشيك ؟ **قال: نعم**

فقال له : هلمّ فاركب أنت يا ولدي حتى أمشي أنا ، **فركب**

ولده ومشى خلفه ، فاجتازا على قوم من الناس فقالوا : هذان بئس الوالد وبئس الولد ، أما أبوه فإنّه لم يؤدبه حتى بلغ به الحال أنّه يركب ويترك أباه يمشي خلفه ، والوالد أحق بالركوب والإحترام ، وأما الولد فقد أساء مع أبيه لأنّه عقّه بهذا الفعل ، فكلاهما أساءا في الفعال .

فقال لقمان لولده : سمعت قولهم وإنكارهم ؟

قال : نعم .

فقال : هلمَّ نركب معاً ، فركب وأردف ولده خلفه ، فمرّا على قوم فقالوا : ما في قلبيَ هذين الراكبين رحمة ، ولا عندهما من الله خير يركبان الدابة معاً ويقطعان ظهرها ، ويحمّلانها ما لا تطيق ، لو ركب أحدهما ومشى الآخر كان أصلح وأجود .

فقال له : سمعت ؟

قال : نعم .

فقال : هات نترك الدابة تمشي خالية ونمشي خلفها ، فساقا الدابة ومشيا خلفها فاجتازا على جماعة فقالوا : هذا عجيب من هذين الشخصين يتركان دابة فارغة تمشي بغير راكب ويمشيان ، وذموهما على ذلك ، كما ذموهما على كل ما كان .

فقال لولده: ترى في رضاهم حيلة لمحتال ؟ فلا تلتفت إليهم واشتغل برضا الله ففيه شغل شاغل عن كلٍّ شيء .

وما أحسن ما جاء عن أمير المؤمنين عليه السلام في هذا المعنى في وصيّته لولده الحسن عليه السلام حيث قال :

« وما طلابك لقوم إن كنت عالماً عابوك ، وإن كنت جاهلاً لم

يرشدوك ، إن طلبت العلم قالوا متكلِّف ، وإن تركت طلب العلم قالوا عاجز ، إن أنفقت قالوا مسرف ، وإن أمسكت قالوا بخيل ، وإن نطقت قالوا مهذار ، وإن سكت قالوا ألكن » .

وقدنظم بعضهم ذلك فأحسن وأجاد :

وما أحد من ألسن الناس سالماً ولو أنّه ذاك النبي المطهر
فإن كنت مقداماً يقولون أهوج وإن كنت مفضالاً يقولون مبذر
وإن كنت صوّاماً وبالليل قائماً يقولون زوّار يرائي ويمكر
وإن كنت سكيتاً يقولون ألكن وإن كنت منطيقاً يقولون مهذر
فلا تكترث بالناس في المدح والثنا ولا تخشَ الا الله والله أكبر

وقال بعضهم يصف حاله وحالهم :

لا أشتكي زمني هذا فأظلمه وإنّما أشتكي من أهل ذا الزمن
هم الذئاب التي تحت الثياب فلا تكن الى أحد منهم بمؤتمِن
قد كان لي كنز صبر فافتقرت الى إنفاقه في مداراتي لهم ففني

فإذا كان الحال كذلك ـ

بمن يثق الإنسان فيما ينو به ومن أين للحر الكريم صحاب
وقد صار هذا الناس إلا أقلهم ذئاباً على أجسادهنَّ ثياب

فليس إلا تكرار قوله تعالى : ﴿ وأفوِّض أمري إلى الله إنَّ الله بصير بالعباد ﴾ كما هو الحال في الرخاء كذلك في الشدة وتعليل النفس يقول بعضهم :

قل للذي بصروف الدهر عيَّرنا هل عاند الدَّهر الا من له خطر
ألا ترى البحر تعلو فوقه جيَف وتستقر بأقصى قعره الدرر
فإن تكن عبثت أيدي الزمان بنا ونالنا من تمادي بؤسه ضرر

ففي السماء نجوم لا عداد لها وليس يكسف الا الشمس والقمر
وكم على الأرض من خضراء مورقة وليس يرجم إلا من له ثمر

الصديق والعدو

يا بني استكثر من الأصدقاء ولا تأمن الأعداء ، فإنَّ الغلَّ في صدورهم مثل الماء تحت التراب .

يا بني صاحب مائةً ولا تعادي واحداً .

يا بني إتخذ ألف صديق ، وألف قليل ، ولا تأخذ عدواً واحداً ، والواحد كثير .

ومما ينسب لأمير المؤمنين قوله عليه السلام :

تكثَّر من الإخوان ما اسطعت إنّهم عماد إذا ما استنجدوا وظهور
وليس كثيراً ألف خلٍّ وصاحب وإنَّ عدوّاً واحداً لكثير

يا بني ليكن مما تتسلَّح به على عدوك فتصرعه المماسحة[1] وإعلان الرضا عنه ، ولا تزاوله بالمجانبة فيه ، فيبدو له ما في نفسك فيتأهب لك ، فليكن مما تستظهر به عليه الورع عن المحارم ، والفضل في دينك ، والصيانة لمروتك ، والإكرام لنفسك أن تدنسها بمعاصي الرحمن ومساوي الأخلاق وقبيح الأفعال ، واكتم سرَّك وأحسن سريرتك ، فإنّك اذا فعلت ذلك أمنت بستر الله تعالى أن يصيب عدوك منك عورة ، أو يقدر منك على زلة ولا تأمننّ مكره

(١) المماسحة هي المصادقة والموادعة .

فيصيب منك غرة في بعض حالاتك ، فإذا استمكن منك وثب عليك ولم يقلك عثرة ولم يغفر لك زلة ، واستصغر الكبير في طلب المنفعة ، واستعظم الصغير في ركوب المضرة .

يا بني لا تحملنّ على الناس فوق طاقتهم ، فلا يزال جليسك نافراً عنك ، والمحمول عليه فوق طاقته مجانباً لك ، فإذا أنت فرد لا صاحب لك يؤنسك ، ولا أخ لك يعضدك ، فإذا بقيت وحيداً كنت مخذولاً وصرت ذليلاً ، ولا تعتذر الى من لا يقبل لك عذراً ولا يرى لك حقاً ، ولا تستعن في أمورك الا بمن يحب أن يتخذ في قضاء حاجتك أجراً ، فإنّه إذا كان كذلك كان طلب قضاء حاجتك كطلبه لنفسه ، لأنّه يعد نجاحها لك ربحاً في الدنيا الفانية وحظاً وذخراً له في الدار الباقية ، فيجتهد في قضائها لك .

وليكن إخوانك وأصحابك الذين تستخلصهم لنفسك وتستعين بهم على أمرك أهل المروة والكفاف ، والثروة والعقل والعفاف ، الذين إن نفعتهم شكروك ، وإن غبت عن جيرتهم ذكروك .

وينسب لأمير المؤمنين صلوات الله عليه في هذا المعنى قوله :

رأتك الليالي يا ابن آدم ظالماً — وخير الورى من يعف عند اقتداره

يقول لك العقل الذي زيّن الورى — اذا لم تكن تقدر عدوَّك داره

ولاقيه بالترحيب والرحب والقِرى — ويمم له ما دمت تحت اقتداره

وقبِّل يد الجاني الذي لست قادراً — على قطعها وارقب سقوط جداره

والصديق بحق : هو الذي اذا خدمته صانك ، واذا أردت منه معونة أعانك ، وإن قلت صدَّق قولك ، وإن رأى منك حسنة عدَّها . . . الى آخر ما تقدم .

لكل شيء علامة

في الخصال عن حماد عن المنقري عن أبي عبد الله عليه السلام قال :

قال لقمان لابنه : يا بني لكل شيءٍ علامة يُعرف بها ويشهد عليها .

فللدِّين ثلاث علامات : الإيمان ، والعلم ، والعمل به .

وللإيمان ثلاث علامات : الإيمان بالله ، وكتبه ، ورسله .

وللعالم ثلاث علامات : العلم بالله تعالى ، وبما يكره ، وبما يحب .

وللعامل ثلاث علامات : الصلاة ، والصيام ، والزكاة .

وللمتكلِّف ثلاث علامات : ينازع من فوقه ، ويقول ما لا يعلم ، ويتعاطى ما لا ينال .

وللظالم ثلاث علامات : يظلم من فوقه بالمعصية ، ومن دونه بالغلبة ، ويعين الظلمة .

وللمنافق ثلاث علامات : يخالف لسانُه قلبَه ، وقولُه فعلَه ، وعلانيتُه سريرتَه .

وللآثم ثلاث علامات : يخون ، ويخالف ، ويكذب .

وللمرائي ثلاث علامات : يكسل اذا كان وحده ، وينشط اذا كان مع الناس ، ويتعرّض في كل أمر فيه محمدة .

وللحاسد ثلاث علامات : يغتاب اذا غاب ، ويتملق اذا شهد ، ويشمت بالمصيبة .

وللمسرف ثلاث علامات : يشتري ما ليس له ، ويأكل ما ليس له ، ويلبس ما ليس له .

وللكسلان ثلاث علامات : يتوانى حتى يفرِّط ، ويفرِّط حتى يضيِّع ، ويضيِّع حتى يأثم .

وللغافل ثلاث علامات : السهو ، واللهو ، والنسيان .

وللعاقل عشر علامات : الكبر منه مأمون ، والرشد فيه مأمول ، الى آخرها مما تقدم تحت عنوانه .

قال حماد بن عيسى : قال أبو عبد الله عليه السلام : « **ولكل واحدة من هذه العلامات شعب يبلغ العلم بها أكثر من ألف باب والف باب والف باب ، فكن يا حماد طالباً للعلم في آناء الليل وأطراف النهار ، فإن أردت أن تقر عينك وتنال خير الدنيا والآخرة ، فاقطع الطمع عما في أيدي الناس ، وعدَّ نفسك في الموتى ، ولا تحدثنَّ نفسك أنّك فوق أحد من الناس ، وأخزن لسانك كما تخزن مالك** » .

***

مع الولاة

يا بني اذا خدمت والياً فلا تنمَّ اليه بأحد ، فإنّـه لا يزيـده ذلك منك إلا نفوراً ، وإنّه اذا سمع منك في غيرك فـإنّه لا بـد أن يسمع من غيرك فيك ، ويكون قلبه خائفاً منـك أن تنمَّ عليه كـما نميّت إليه بغيره ، فلا يزال محترساً منك .

وكن يـا بني أقرب الناس إليـه في فـرحـه وأبعـدهم منـه عنـد غضبه ، وإن ائتمنك فلا تخنه ، وإن أنالك يسيـراً فخذه واقبله فتبلغ به أن تنال كثيراً .

وأكرم خدمـه والطف بـأصحابـه ، وغض بصرك عن محـارمه ، وصمَّ أذُنـك عن مجاوبتـه ، وأقصر لسانـك عن حـديثه ، واكتم في المجالس سرّه ، واتبـع باللطف هـواه ، وناصـح في خدمتـه ، واجمع عقلك في مخـاطبته ، ولا تـأمن الدَّهـر من غضبه ، فـإنّه ليس بينـك وبينـه نسب ، والغضب يسـرع اليـه في كـل وقت ، ووثبتـه كـوثبة الأسد .

يا بني لا تجاور الملوك فيقتلوك ، ولا تطعهم فتكفر .

يا بني كتمان السرِّ صيانة للعرض .

يا بني إن احتجت الى سلطان فلا تكثر الإلحاح عليه ، ولا تطلب حاجتك إلا في موضع الطلب ، وذلك حين الرضا وطيب النَّفس ، ولا تضجرنَّ بطلب حاجة فإنَّ قضاءها بيد الله سبحانه وتعالى ، ولها أوقات ، ولكن ارغب الى الله وسله وحرِّك إليه أصابعك .

* * *

خيار النساء وشرارهنَّ

يـا بني استعذ بـالله من شرار النسـاء ، وكن من خيـارهنَّ عـلى حذر .

يا بني لا تفشينَّ سرك الى امرأتك ، ولا تجعل مجلسك على بـاب دارك .

يا بني إن أردت أن تقوِّي نفسك على الحكمـة فلا تملِّك نفسـك للنساء .

يـا بني إنّ المرأة خلقت من ضلع أعـوج ، إن أقمتها كسـرتها ، وإن تـركتهـا تعـوجت ، ألـزمهن البيـوت ، فـإن أحسنَّ فـاقبـل إحسانهنَّ ، وإن أسأن فاصبر إنّ ذلك من عزم الأمور .

يا بني لا تطأ أمتك ولو أعجبتك ، وانه نفسك عنها وزوجها .

يا بني النساء أربع : اثنتان صالحتان ، واثنتان ملعونتان :

فأما إحـدى الصالحتـين : فهي الشريفـة في قومهـا ، الذليلة في نفسها ، التي إن أُعطيت شكرت ، وإن ابتليت صبرت ، القليـل في يدها كثير .

وأما **الثانية** : فهي الودود الولود ، تعود على زوجها بالخير ، هي

كالأم الرحيم بعياله ، تعطف على كبيرهم وتحب صغيرهم ، وتحب ولد زوجها وإن كان من غيرها ، جامعة الشمل ، مرضية البعل ، مصلحة في النفس والأهل ، والمال والولد ، فهي كالذهب الأحمر ، طوبى لمن رُزقها ، إن شهد زوجها أعانته ، وإن غاب عنها حفظته .

وأما إحدى **الملعونتين** : فهي العظيمة في نفسها ، الذليلة في قومها ، إن أُعطيت سخطت ، وإن مُنعت عتبت وغضبت ، فزوجها منها في بلاء ، وجيرانها منها في عناء ، فهي كالأسد إن جاوزته أكلك ، وإن هربت منه قتلك .

والملعونة **الثانية** فهي التي عند زوجها وقد ملّها جيرانها ، سريعة السخطة ، سريعة الدمعة ، إن شهد زوجها لم تنفعه ، وإن غاب عنها فضحته ، فهي بمنزلة الأرض النشاشة : إن سقيت أفاضت الماء وغرقت ، وإن تركتها عطشت ، وإن رزقت منها ولداً لم تنتفع به .

يا بني لو كانت النساء تذاق كما يذاق الخمر ، ما تزوج رجل امرأة سوء أبداً .

يا بني إتق المرأة السوء فإنّها تشيبك قبل المشيب ، واتق شرار النّساء فإنّهنّ لا يدعون الى خير ، وكن من خيارهنّ على حذر .

وإليك قصة تروِّح خاطرك شاهداً على ما فهمت من هذه الوصايا الثمينة والبيان الشافي .

عن الإمام أبي جعفر **الباقر عليه السلام** قال : « كان في بني إسرائيل رجل عاقل كثير المال ، وكان له ابن يشبهه في الشمائل من زوجة عفيفة ، وكان له أيضاً ابنان من زوجة أخرى عفيفة ، فلما

حضرته الوفاة قال لهم :

هذا مالي لواحد منكم .

فلما توفي قال الكبير : أنا ذلك الواحد ، وقال الأوسط : أنا ذلك ، وقال الأصغر : أنا ذلك .

فاختصموا الى قاضيهم فقال لهم : ليس عندي في أمركم شيء ، انطلقوا الى بني الأغنام الأخوة الثلاثة .

فانتهوا الى واحد منهم فرأوا شيخاً كبيراً فقال : ادخلوا الى أخي فلان فهو أكبر مني سناً فاسألوه ، فدخلوا عليه فخرج شيخ كهل فقال : سلوا أخي الأكبر منّي ، فدخلوا على الثالث فإذا هو في المنظر أصغر ، فسألوه أولاً عن حاله وحال أخويه ؟

فقال : أما أخي الذي رأيتموه أولاً هو الأصغر ، وإنّه له امرأة من سوء تسوؤه فصبر عليها مخافة أن يُبتلى ببلاءٍ لا صبر له عليه ، فهو منه ، وأما أخي الثاني فإنّ عنده زوجة تسوؤه وتسره ، فهو متماسك ، وأما أنا فزوجتي تسرني ولا تسوؤني ، لم يلزمني منها سوء قط منذ صحبتني ، فشبابي معها متماسك .

وأما حديثكم الذي هو حديث أبيكم ، فانطلقوا أولاً وانبشوا قبره واستخرجوا عظامه واحرقوها ثم عودوا لأقضي بينكم ، فانصرفوا فأخذ الصبي سيفَ أبيه وأخذ الأخوان المعاول ، فلما همّا بذلك قال لهما الصغير : لا تنبشوا قبر أبي وأنا أدع لكما حصتي .

فانصرفوا الى القاضي فقال : يقنعكما هذا ائتوني بالمال ، فأتي به فقال للصغير : خذ المال فلو كانا ابنيه لدخلهما من الرقة كما دخل على الصغير الخ .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام :

« معاشر الناس لا تطيعوا النساء على حال ، ولا تأمنوهنَّ على مال ، ولا تذروهنّ يدبرن أمر العيال ، فإنّهنّ إن تركن وما أردن أوردن المهالك ، وعصين أمر المالك ، لا ورع لهنّ عند الحاجة ، ولا صبر لهنَّ عند الشهوة ، البذخ لهنَّ لازم ، والعجب بهنَّ لاحق ، لا يشكرن الكثير اذا منعن القليل ، ينسين الخير ويذكرن الشر ، يتهافتن بالبهتان ، ويتمادين في الطغيان ، ويتصدين للشيطان ، فداروهنَّ على كل حال ، واحسنوا لهن المقال ، لعلهنّ يحسنّ الفعال ».

قد عرفت أنّ زوجة السوء هي السبب الوحيد في سرعة الشيب ، ولو عُرفت لما ابتلي بها أحد ، إذ ليس النساء كالبضاعة تحس أو تلمس أو تذاق كما قال لقمان : لو كانت النساء تذاق الخ ولكنّه الحظ :

ألا إنّ النساء خلقن شتى ... فمنهنّ الغنيمة والغرام
ومنهنّ الهلال إذا تجلّى ... لصاحبه ومنهنّ الظلام
فمن يظفر بصالحةٍ سعيد ... ومن يعثر فليس له انتظام

وجاء في ابتلاء الأخيار بالنساء الأشرار النساء اللاتي يضرب بهنّ المثل خمس : وهي زرقاء اليمامة والبسوس ، ودغه وظلمه وام قرفه .

أما الزرقاء فيقال : أبصر من زرقاء اليمامة ، وهي امرأة من بني نمير كانت باليمامة تبصر الشعرة البيضاء في الليل ، وتنظر الراكب من مسيرة ثلاثة أيام ، وكانت تنذر قومها بالجيوش اذا غزتهم

فلا يأتيهم جيش الا وقد استعدوا له . فاحتال عليها بعض من غزاهم فأمر أصحابه فقطعوا شجراً وأمسكوها بأيديهم أمام معسكره ، فنظرت الزرقاء فقالت : إنّي أرى الشجر قد أقبلت إليكم .

فقال لها قومها : قد خرفت وذهب عقلك ورق بصرك ، كيف تأتي الشجر ؟؟

قالت : هو ما أقول لكم ، فكذبوها ، فصبحتهم الخيل وأغاروا عليهم وقتلوا الزرقاء وقوروا عينيها فوجدوا عروق عينيها قد غرقت بالأثمد من كثرة ما كانت تكتحل به .

وأما البسوس فيقال : أشأم من البسوس ، وهي خالة جساس ابن مرة بن ذهل بن شيبان ، ولها كانت الناقة التي قتل من أجلها كليب بن وائل ، وبها ثارت حرب بكر وتغلب التي يقال لها حرب البسوس .

وأما دغه ، فيقال : أحمق من دغه ، وهي امرأة من بني عجل تزوجت من بني العبير .

وأما ظلمه ، فيقال : أزنى من ظلمه ، وهي امرأة من هذيل زنت أربعين سنة وقادت أربعين عاماً ، فلما عجزت عن الزنا والقيادة اتخذت تيساً وعنزاً فكانت تنزي التيس على العنز ، فقيل لها : لِمَ تَفعلين ذلك ؟ قالت : لأسمع أنفاس الجماع بينهما .

وأما ام قرفه ، فيقال : أمنع من ام قرفه ، وهي امرأة مالك بن حذيفة بن بدر الفزاري ، وكانت تعلق في بيتها خمسين سيفاً كل سيف منها لذي محرم لها .

السفـر

عرف لقمان عليه السلام وكل خبير بأحوال الـزمان أنّ الانسـان مهما كان لوطنه ملازماً سـاكناً بيتـه حريصـاً على مفـارقة محل مولـده ومسقط رأسه ، لا بد له من مغادرة وطنه يومـاً مّا ، فيسـافر والسفـر قطعة من سقر كما قيل ، وبما أنّه كذلك يحتاج الى رياضة نفس وسعة صـدر وأخلاق تـلائم أخلاق من يـواجـه ويكـون في معـاملة النـاس خصوصاً في السفر كما قال البهائي أعلى الله مقامه :

أعـامـل أبنـاء الـزمـان بمقتضى ‏ ‏ ‏ ‏ عقـولهم كيلا يفـوهـوا بـإنكـار

ويستعين على ذلك بسائـر ما يحتـاج إليه البشر من أدوات ودابـة وطعام وشراب ، كل بحسب حاله ، ينشر على الجميع بردة السمـاح فيبدأ بالنـوال قبل السؤال ، ويتحمـل الخطأ والصـواب من أصحابـه على كل حال ، فأوصى لقمان ولده حاثاً لـه على ذلـك وتعليماً لغيـره فقال :

يـا بني اذا سافـرت فسافـر بسيفك وخفـك وكسائـك وسقائـك وابرك وخيوطك ومخرزك ، وتـزود من الأدوية مـا تنتفع بـه أنت ومن معك ، واحذر أن تنامنّ على دابتـك فليس ذلك من فعل الحكماء ،

إلا أن تكون في محمل يمكنك التمدد فيه لاسترخاء المفاصل ، **فإذا** قربت من المنزل فانزل عن دابتك فإنّها تعينك ، وابدأ بعلفها قبل نفسك فإنّها نفسك ، وإياك والسفر في الليل ، وعليك بالتعريس[1] فيه ، وعليك بالادلاج[2] من نصف الليل الى آخره .

وفي السفر فوائد كثيرة قلّما يخيب المسافر منها أو بعضها ، وإليك بعض ما جاء عن رسول الله صلّى الله عليه وآله :

« **سافروا تصحوا ، وجاهدوا تغنموا ، وحجوا تستغنوا** » .

وقال : « **سافروا فإنّكم إن لم تغنموا مالاً أفدتم عقلاً** » .

وقال : « **السفر ميزان القوم** » لكشفه عن الاخلاق . وبهذه المناسبة سمي سفراً ، لأنّه يسفر عما أكنّه الحضر من خُلُق حسن أو سيِّىء فهو مرآة لمن يريد الإختبار والكشف ، وهذا أقل ما يستفيد به المسافر ، وقد نظم بعضهم ما يمكن أن يتأتّى للمسافر من الفوائد فقال :

تغرَّب عن الأوطان في طلب العلى وسافر ففي الأسفار خمس فوائد
تفـرّج همٍّ واكتساب معيشةٍ وعلم وآداب وصحبة ماجد
فإن قيل : في الأسفار ذل ومحنة وقطع الفيافي وارتكاب الشدائد
فموت الفتى خير لـه من معيشةٍ بدار هوانٍ بين واشٍ وحاسد

(١) التعريس : هو النزول أثناء السير لأخذ الاستراحة .

(٢) الادلاج : هو المسير .

مع المسافر

عن أبي عبد الله عليه السلام قال : قال لقمان لابنه :

يا بني اذا سافرت مع قوم فأكثر استشارتهم في أمرك وأمرهم ، وأكثر التبسم في وجوههم ، وكن كريماً على زادك بينهم ، واذا دعوك فأجبهم ، واذا استعانوك فأعنهم ، واغلبهم بثلاث : طول الصمت ، وكثرة الصلاة ، وسخاء النفس بما معك من مال أو زاد أو دابة ، وإذا استشهدوك على الحق فاشهد لهم ، وأجهد رأيك لهم اذا استشاروك ، ولا تعزم حتى تتثبت وتنظر ، ولا تجب في مشورة حتى تقوم فيها وتقعد وتنام وتأكل وتصلّي وأنت مستعمل فكرتك وحكمتك في مشورته ، فإنّ من لم يمحض النصيحة لمن استشاره سلبه الله رأيه ، ونزع منه الأمانة .

وإذا رأيت أصحابك يمشون فامش معهم ، واذا رأيتهم يعملون فاعمل معهم ، واذا رأيتهم يتصدقون فتصدق معهم ، واذا استقرضوك فأقرضهم ، واسمع ممن هو أكبر منك سناً ، وإذا أمروك بأمر أو سألوك فتبرع لهم ، وقل : نعم ولا تقل : لا ، فإنّ « لا » عيّ ولؤم .

وإذا تحيرتم في طريقكم فانزلوا ، وإن شككتم في القصد فقفوا وتؤامروا ، وإذا رأيتم شخصاً واحداً فلا تسألوه عن طريقكم ولا تسترشدوه ، فإنّ الشخص الواحد في الفلاة مريب ، ولعله أن يكون عيناً للصوص ، أو يكون هو الشيطان الذي حيّركم ، واحذروا الشخصين أيضاً الا أن تروا ما لا أرى فإنّ العاقل اذا نظر بعينه شيئاً عرف الحق منه ، والشاهد يرى ما لا يراه الغائب .

يا بني وإذا جاء وقت الصلاة فلا تؤخرها لشيء وصلِّها واسترح منها ، فإنها دَين ، وصلِّ في جماعةٍ ولو على رأس رمح ، وإذا أردتم النزول فعليكم من بقاع الأرض بأحسنها لوناً وألينها تربة وأكثرها عشباً ، وإذا نزلتَ فصلِّ ركعتين قبل أن تجلس ، وإذا أردت قضاء حاجة فأبعد المذهب في الأرض ، وإذا ارتحلت فصلِّ ركعتين ثم ودع الأرض التي حللت بها وسلِّم عليها وعلى أهلها ، فإنّ لكل بقعة أهلاً من الملائكة ، وإن استطعت أن لا تأكل طعاماً حتى تتصدق منه فافعل ، وعليك بقراءة القرآن ما دمت راكباً ، وعليك بالتسبيح ما دمت عاملاً عملاً ، وعليك بالدعاء ما دمت خالياً ، وإياك والسير من أول الليل ، وعليك بالتعريس فيه ، وإياك ورفع الصوت في مسيرك .

ومن غايات السفر ما روى عمر بن أبي المقدام عن أبي عبد الله عليه السلام قال في حكمة آل داود : إنّ على العاقل أن لا يكون ظاعناً إلا في ثلاث : تزود لمعاد ، أو مرمة لمعاش ، أو لذة في غير محرم . ولم يخص بذلك الرجال دون النساء فالجميع شرع سواء وكل مسؤول عن تكاليفه الشرعية ومجزىً بعمله .

في تفسير العسكري عليه السلام قال : أقبلت امرأة الى رسول الله صلّى الله عليه وآله وقالت : بأبي أنت وأمي يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك ، فما من امرأة يبلغها سيري إليك الا سرها ذلك ، يا رسول الله إنّ الله ربّ الرجال والنساء ، وخالق الرجال والنساء ، ورازق الرجال والنساء ، وإنّ آدم أب الرجال والنساء ، وإنّ حواء أم الرجال والنساء ، وإنّك رسول الله الى الرجال والنساء ، فما بال امرأتين برجل واحد في الشهادة والميراث ؟

فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « **يا أيتها المرأة إنّ قضاء ذلك من عدل حكيم لا يجور ولا يحيف ولا يتحامل ، لا ينفعه ما منعكنّ ولا ينقصه ما بذله لكنّ ، يدبر الأمر بعلمه . يا أيتها المرأة لأنكنّ ناقصات الدِّين والعقل** » .

فقالت : يا رسول الله وما نقصان ديننا وعقلنا ؟

قال صلّى الله عليه وآله وسلّم : « **إنّ إحداكنّ تقعد نصف دهرها لا تصلّي بحيضة ، وإنّكنّ تكثرن اللعن وتكفرن النعمة ، تمكث إحداكنّ عند الرجل عشر سنين يحسن إليها وينعم عليها فإذا ضاقت يده يوماً خاصمته وقالت : ما رأيت منك خيراً قط ، فمن لم تكن من النساء هذا من خُلقها فالذي يصيبها من هذا النقصان محنة عليها ، ولتصبرنّ فيعظم الله ثوابها فابشري** » .

ثم قال لها رسول الله صلّى الله عليه وآله : « **ما من رجل ردي إلا والمرأة الردية أردى منه ، ولا من امرأة صالحة الا والرجل الصالح أفضل منها ، وما سوّى الله امرأة برجل قط إلا ما كان من تسوية الله تعالى فاطمة بعلي وإلحاقها به ، وهي امرأة تفضل رجال**

العالمين ، وكذلك ما كان من الحسن والحسين عليهما السلام وإلحاق الله إياهما بالأفضلين الأكرمين لما أدخلهما في المباهلة ، فألحق الله فاطمة بمحمد وعلي في الشهادة ، وألحق الحسن والحسين بهم ، قال تعالى : ﴿ فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم ، فقل تعالوا ندع أبنائنا وأبنائكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين ﴾ » .

ثمان كلمات

في بعض الروايات أنّ لقمان عاش أربعة آلاف سنة وخدم أربعة آلاف نبياً ، وهذا من النوادر العجيبة الغريبة بناءً على الصحة وإلا فالمشهور أنّه عاش الف سنة كما قدمنا .

وعلى فرض صحة الأول جاء قوله لولده :

يا بني إنّي خدمت أربعة آلاف نبياً في أربعة آلاف سنة واخترت من كلامهم ثمان كلمات .

الأولى : إذا كنت في الصلاة فاحفظ قلبك .

الثانية : وإذا كنت على المائدة فاحفظ حلقك .

الثالثة : وإذا كنت في بيت الغير فاحفظ عينك .

الرابعة : وإذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك .

الخامسة والسادسة : قوله يا بني واذكر اثنين : ذكر الله والموت .

السابعة والثامنة : وانس اثنين : إحسانك في حق الغير وإساءة الغير إليك .

وقد تصدى بعض العلماء الى شرح هذه الكلمات الثمان فجعل

كل كلمة أصلاً لشرح طويل استطرد جُلّ ما جاء فيه من معناها فجاء من ذلك شيء كثير .

وقد اختصرت تلك الشروح بأوجز منها تقريباً للفائدة واقتداءً بالسلف الصالح فلا إطناب ممل ولا إيجاز مخل :

* * *

الصلاة

(ص) اذا كنت في الصلاة فاحفظ قلبك .

(ش) قال الله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين ﴾ .

وقال تعالى : ﴿ إنّ الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ﴾ .

وقال النبي صلَّى الله عليه وآله : « الصلاة عمود الدين إن قُبلت قُبل ما سواها وإن رُدَّت رُدَّ ما سواها » .

وقال صلّى الله عليه وآله : « من أقام الصلاة أقام الدّين ومن تركها فقد هدم الدين » .

وقال صلّى الله عليه وآله: « الصلاة قربان كل تقي وعلم الإيمان » .

وقال صلّى الله عليه وآله : « إن أول ما فرض الله الصلاة ، وآخر ما يبقى عند الله الصلاة ، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة الصلاة ، فمن أجاب سهل ما بعدها ، ومن لم يجب اشتد ما بعدها » .

وقال صلّى الله عليه وآله : « الصلاة معراج المؤمن » .

وفي الحديث عنهم عليهم السلام : « إنّ الرجل ليثاب بقدر ما يكون قلبه في الصلاة وتذكر معناها » .

وقال صلّى الله عليه وآله : «إنّ لكل شيءٍ زينة، وزينة الإسلام الصلوات الخمس ، ولكل شيءٍ براءة وبراءة المؤمن من النار الصلوات الخمس ، ولكل شيءٍ أمان وأمان المؤمن من القطيعة والفرقة الصلوات الخمس ، وخير الدنيا والآخرة الصلوات الخمس ، وبها يتبين الكافر من المؤمن والمخلص من المنافق ، وهي عماد الدين ، وملاذ الجسد ، وزين الاسلام ، ومناجاة الحبيب ، وقضاء الحاجة ، وتوبة التائب ، والبركة في المال ، وسعة الرزق ، ونور الوجه ، وعز المؤمن ، واستنزال الرحمة ، واستجابة الدعوة ، واستغفار الملائكة ، ورغم الملحدين ، وقهر الشياطين ، وكفارة للذنوب .

وعنهم عليهم السلام : « ما تقرَّب العبد إلى الله تعالى بعد المعرفة بأفضل من الصلاة ، وإنّ صلاة فريضة خير من عشرين حجة ، والحجة خير من عشرين بيتاً مملوءاً ذهباً يتصدق به حتى يفنى » .

وروي عن الصادقين عليهما السلام : « ثلاث كفارات للذنوب : إسباغ الوضوء في السبرات ، والمشي في الليل والنهار إلى الصلوات ، والمحافظة على الجماعات » .

ولكثير مما تقدم من فضل الصلاة يشير العلامة بحر العلوم (ره) في منظومته بقوله :

إنّ الصلاة هي أفضل القُرَب وأفضل الطاعات طرّاً وأحب

عمود هذا الدِّين والعنوان   لسائر الأعمال والميزان
إن قُبِلَتْ فغيرها بها قُبِل   وإن تردّ رُدّ كلّما عُمل
تنهى عن المنكر والفحشاء   أقصر فهذا منتهى الثناء

* * *

الأطعمـة

(ص) واذا كنت على المائدة فاحفظ حلقك .

(ش) قال صلّى الله عليه وآله : « من كانت همته ما يدخل في بطنه كانت قيمته ما يخرج منها ، وإنّ أبغض الناس إلى الله المتخمون ، وما ترك المرء أكلة يشتهيها إلا كانت له درجة في الجنة » .

وعنه صلّى الله عليه وآله : « لا تميتوا القلوب بكثرة الطعام ، فإنّه من أكثر الأكل أكثر الشرب ، ومن أكثر الشرب أكثر النوم ، ومن أكثر النوم مات قلبه ، وإن القلب يموت منه كالزرع اذا كثر عليه الماء » .

ومما نصح به لقمان ولده حول هذا المعنى قوله :

يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة ، وخرست الحكمة ، وقعدت الأعضاء عن العبادة .

فالذي ينبغي تناول ما يسد الفاقة ويعين على العبادة ، والتناول بآداب تعرفها مما يلي :

أن تأكل باليد اليمنى بثلاث أصابع معتمداً على اليسرى .

أن تصغر اللقمة وتجوِّد المضغ .

أن تأكل من حولك ما يليك .

أن لا تنظر الى وجه جليسك .

أن لا يكون لأكلك وشربك حال المضع والشرب صوت خارج عن العادة كما هو شأن بعض البهائم .

أن لا تنفض يديك مما يعلق بها من الطعام .

أن تحمد الله وتستزيده من فضله أولاً وآخراً قائلاً حال الإبتداء : « بسم الله الرحمن الرحيم ، بسم الله على أوله والحمد لله على آخره ، اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه ، اللهم أنت رزقتنا وعليك خلفه » .

وتقول حال الإنتهاء : « الحمد لله ربِّ العالمين اللهم لك الحمد ولك الشكر الحمد لله كما هو أهله » .

وفي إطعام الطعام من الفضل ما لا يكاد يخفى على عارفيه حتى أنّه جُعل أحد الثلاث المنجيات .

كما في الحديث عنهم عليهم السلام : « **ثلاث منجيات إطعام الطعام ، وإفشاء السلام ، والصلاة بالليل والناس نيام** » . مضافاً إلى أنّه من مكارم الأخلاق وسنة أبي البشر إبراهيم الخليل عليه السلام الذي يطلب الضيف من ميلين وهو الذي يقول :

لا مرحباً بالليل إن لم يأتني في طيه ضيف ملم نازل
والصبح إن يأتي فلا أهلاً به إن كان عندي فيه ضيف راحل

وما استحق حاتم ما استحق من الثناء والإطراء والمدح على كفره الا بما كان يأتيه من ذلك ، واعطف عليه أسخياء الجاهلية والاسلام بداية ونهاية ، ولا غرو فمن جاد ساد ويؤثر عن كريم أهل

البيت عليهم السلام قوله :

إنّ السخاء على العباد فريضة ... لله يقرأ في كتاب محكم

وعد العباد الأسخياء جنانه ... وأعدّ للبخلاء نار جهنم

من لم يكن تندى يداه بنائل ... للمسلمين فليس ذاك بمسلم

النظـــر

(ص) وإذا كنت في بيت الغير فاحفظ عينك .

(ش) لكراهة صاحب البيت لذلك فيستحي أن ينهاك فعاد جلوسك في بيته ثقلاً عليه موجباً لإهانته وهي حرام عليك .

وقد أمر الله سبحانه كلاً من المؤمنين والمؤمنات بغضّ البصر وحفظ الفرج لما في ذلك من المصالح العامة المفهومة التزاماً من العكس حينما تخالف أوامر الله ، قال الله تعالى مخاطباً لنبيه صلّى الله عليه وآله : ﴿ **وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم** ﴾ وقال تعالى : ﴿ **وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهنّ ويحفظن فروجهنّ** ﴾ الآية .

قال الصادق عليه السلام : كل آية في ذكر الفروج فإنّها تشير الى الزنا إلا هذه الآية فإنها الى النظر ، فلا يحل لرجل مؤمن أن ينظر فرج أخيه ، ولا يحل لامرأة أن تنظر فرج اختها .

وروي أنّ عبد الله بن مكتوم جاء الى النبي صلّى الله عليه وآله وكان في بيت فاطمة عليها السلام فلما أذن له اختفت فاطمة عليها السلام فقال لها النبي صلّى الله عليه وآله : إنّه أعمى ، فقالت : إنّه إن لم يرني فإنّي أراه ، وقد قال الله تعالى : ﴿ وقل للمؤمنات

يغضضن من أبصارهن ﴾ فسجد النبي صلّى الله عليه وآله شكراً لله تعالى ، وقال : إنّك يا فاطمة أول من عمل بهذه الآية .

وبالجملة فالنظر مفتاح كل شر وباب كل فساد ، وكم من نظرة جلبت حسرة ورمت الفؤاد سهماً صائباً ، وقد اصيب بهذا الداء خلق كثير قديماً وحديثاً .

فمن ذلك ما روي أنّ شاباً من الأنصار استقبل امرأة من المدينة فنظر إليها مقبلة ومدبرة فجازها وفكره عندها فاعترض وجهه عظم في حائط فشجه ، فلم يشعر إلا والدماء تسيل على خده ووجهه وصدره وثيابه ، وهذا أقل ما يعانيه أمثاله من ذوي الرغبة في النظر ، كيف لا وقد قال رسول الله صلّى الله عليه وآله : « **النظرة سهم مسموم من سهام إبليس فمن تركها خوفاً من الله تعالى أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه** » وقد أجاد من قال :

والمرء ما دام ذا عين يقلّبها في أعين الناس موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

ويحرم النظر الى الأجنبية البتة والمستثنيات الشرعية مقيدة بعدم الريبة ومعها يحرم كل شيء .

اللسان

(ص) **وإذا كنت بين الناس فاحفظ لسانك** .

(ش) قال الله تعالى : ﴿ **إذ يتلقّى المتلقيان عن اليمين وعن الشمال قعيد ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد**﴾ .

وقال النبي صلّى الله عليه وآله : « **راحة الإنسان في حفظ اللسان** » .

وقال صلّى الله عليه وآله : « **طوبى لمن أنفق فضلة ماله وأمسك الفضل من لسانه** » .

وقال صلّى الله عليه وآله : « **البلاء موكل بالمنطق** » .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : « **لا يزال الرجل المسلم سالماً ما دام ساكتاً فإذا تكلم كتب إما محسناً أو مسيئاً** » .

وقال النبي صلّى الله عليه وآله لبعض أصحابه : « **ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة ؟**

قلت : بلى يا رسول الله فداك نفسي .

قال : « **أنل من مالك** » .

قال : فإن لم يكن لي مال ؟

قال : « **انصر المظلوم** » .

قال : فإن لم أقدر ؟ .

قال : « **قل خيراً تغنم ، أو اسكت تسلم** » .

وقال أمير المؤمنين صلوات الله عليه في وصيته لابن الحنفية :

« **يا بني إنّ اللسان كلب عقور إن أرسلته عقرك ، وربَّ كلمة سلبت نعمة وجلبت نقمة ، فأخزن لسانك كما تخزن ذهبك** » .

وقال الصادق عليه السلام : « **نجاة المرىء في حفظ لسانه** » .

وقال الرضا عليه السلام : « **من علامات الفقيه الحلم والحياء والصمت ، وإنّ الصمت باب من أبواب الحكمة وإنّه ليكسب المحبة ويورث السلامة وراحة الكرام الكاتبين وإنّه دليل على كل خير** » .

وقال له رجل : أوصني يا سيدي؟ فقال له : « **احفظ لسانك ولا تمكن الشيطان من قيادك** » .

قال بعضهم :

العقل زين والسكوت سلامة ... فإذا نطقت فلا تكن مكثارا

ما إن ندمت على سكوتي مرة ... ولقد ندمت على الكلام مرارا

وقال بعضهم :

احفظ لسانك لا تقول فتبتلي ... إنّ البلاء موكلٍ بالمنطقِ

وقال آخر :

احفظ لسانك أيها الانسان ... لا يلدغنك إنّه ثعبان

كم في المقابر من قتيل لسانه ... كانت تهاب لقاءه الشجعان

ويقول لقمان : يا بني إن كنت زعمت أنّ الكلام من فضة فإنّ السكوت من ذهب .

ذكر الله

(ص) واذكر اثنين : ذكر الله ، والموت .

(ش) قال الله تعالى : ﴿ واذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾ .

وروي أنّه تبارك وتعالى قال في بعض كتبه :

« أهل ذكري في ضيافتي وأهل طاعتي في نعمتي وأهل شكري في زيارتي وأهل معصيتي لا أويسهم من رحمتي إن تابوا فأناجيهم وإن مرضوا فأنا طبيبهم اداويهم بالمحن والمصائب لأطهرهم من الذنوب والمعايب » .

وقال تعالى : « يا ابن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب فلا أمحقك فيمن أمحق » .

وقال زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام : « إنّ بين الليل والنهار روضة يرتع فيها الأبرار ويتنعم في حدائقها المتقون ، فدأبهم السهر في الليل والصيام في النهار ، فعليكم بتلاوة القرآن في صدره وبالتضرع والاستغفار في آخره ، وإذا ورد النهار فأحسنوا صحبته بفعل الخيرات وترك المنكرات وترك ما يؤذيكم من محقرات

الذنوب ، فإنّها مشرفة بكم على قبائح العيوب » .

والذكر مقسوم على سبعة أشياء من الإنسان :

فذكر اللسان الحمد والثنا	وذكر النفس الجهد والعنا
وذكر الروح الخوف والرجا	وذكر القلب الصدق والصفا
وذكر العقل التعظيم والحيا	وذكر المعرفة التسليم والرضا

وذكر السر رؤية اللقا

فإذا تحققت منك هذه الأذكار بأسرها من هذه الأشياء التي لا تخلو منها تحقق منك العمل الصالح المعطوف على الكلم الطيب المرفوع لدى حضيرة القدس المدلول عليه بقوله تعالى : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيِّب والعمل الصالح يرفعه** ﴾ المحقق بذكر سبحان الله والحمد لله ولا إلٓه إلا الله والله أكبر وهو غرس الجنة كما جاءت الرواية عن رسول الله صلّى الله عليه وآله وعن جده ابراهيم الخليل عليه السلام .

هذا اذا تحققت الأذكار السبعة ، أما اذا انتفت فاللقلقة اللسانية لا عبرة بها ولا قيمة لها ، بل تعود على صاحبها وبالاً حيث إنّها تدخل في باب السخرية ، إذ من الجائز أن يذكر ربه وهو على المعصية ، فالذكر كل الذكر هو أنّه اذا همت نفسه بالمعصية ذكر الله تعالى وتصوّر ثوابه وعقابه فيكف عن تلك المعصية رجاءً للثواب وخوفاً من العقاب ، فإنّ لباب الذكر هو الورع عن محارم الله سبحانه وتعالى .

قال بعض المتلذذين بالذكر الذين لا يعرفون غيره مخاطباً لذي

الجلال تبارك وتعالى :

نسمات هواك لها أرج تحيا وتعيش بها المهج
وبنشر حديثك يطوى الغم عن الأرواح ويندرج
وببهجة وجه جلال جمال كمال صفاتك ابتهج
لا كان فؤاد ليس يهيم على ذكراك وينزعج
ما الناس سوى قومٍ عرفوك وغيرهم همج همج
قوم فعلوا خيراً فعلوا وعلى درج العليا درجوا
دخلوا فقراء الى الدنيا وكما دخلوا منها خرجوا
شربوا بكؤوس تفكرهم من صرف هواه وما فرجوا
يا مدعياً لطريقِهمُ قوّم نظراً بك ينعوج
تهوى ليلى وتنام الليل وحقك ذا طلب سمج

* * *

ذكـر المـوت

(ص) واذكر اثنين : ذكر الله ، والموت .

(ش) قد مر عليك ما به غنىً إن شاء الله تعالى في بيان ذكر الله سبحانه وتعالى ، وإليك شيئاً عن الموت تذكرة وذكرى للذاكرين .

قال الله تعالى : ﴿ **كل نفس ذائقة الموت ثم إلينا ترجعون** ﴾ .

المـوت لا والداً يبقي ولا ولـداً — هذا السبيل الى أن لا ترى أحداً

للمـوت فينا سهام غير مخطئة — من فاته اليوم سهم لم يفته غدا

هـذا الـنبي ولم يخلد لامتـه — لـو خلد الله خلقـاً قبله خلدا

فإذا لم يعط الله سبحانه هذه المنزلة لنبيه وهو أشرف مخلوقاته وكان منها بعيداً فهي بالنسبة الى غيره أبعد .

فسبحان من توحد بالعز والبقاء وقهر عباده بـالموت والفنـاء فهو المتفرد بمنزلة الخلود كل شيء هالك إلا وجهه .

وجميع المخلوقات مخاطبون بقول الخالق عز وجل :

﴿ **أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة** ﴾ .

وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

« **اذكروا هادم اللذات فإنّكم إن ذكرتموه في ضيق وسعه عليكم فرضيتم به وإن ذكرتموه في غنىً بغضه إليكم فجدتم بـه ، وإنَّ المرأ**

عند خروج نفسه وحلول رمسه يرى جزاء ما أسلف وقلة غناء ما خلف ، ولعلّه من باطل جمعه أو من حق منعه » .

وقال أمير المؤمنين وسيد الواعظين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه :

« من علم أنّه يفارق الأحباب ، ويسكن التراب ، ويواجه الحساب ، كان حرياً بقطع الأمل ، وحسن العمل ، فاذكروا رحمكم الله قوله تعالى : ﴿ وجائت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد * فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد ﴾ » .

وقال عليه السلام :

« ولو أنَّ أحداً يجد الى البقاء سلّما أو الى دفع الموت سبيلاً ، لكان ذلك سليمان بن داود عليه السلام الذي سخر له ملك الجن والإنس مع النبوة وعظيم الزلفة ، فلما استوفى طعمته واستكمل مدّته رمته قسي الفناء بنبال الموت ، وأصبحت الديار منه خالية ، والمساكن معطلة ، وورثها قوم آخرون .

وإنّ لكم في القرون السالفة لعبرة ، أين العمالقة وأبناء العمالقة ، أين الفراعنة وأبناء الفراعنة ، أين أصحاب مدائن الرسّ الذين قتلوا النبيين ، وأطفأوا سُنن المرسلين ، وأحيوا سنن الجبارين ، أين الذين ساروا بالجيوش وهزموا بالألوف وعسكروا العساكر ومدنوا المدائن » .

وقد مرّ عليك جواب لقمان لما قيل له : لو اتخذت لك بيتاً ؟ الخ ، وقال :

يا بني لا تؤخر التوبة فإنّ الموت يأتي بغتة .

** *

الإحسان والإساءة

(ص) وانس اثنين : إحسانك في حق الغير ، وإساءة الغير في حقك .

قال الامام الكاظم عليه السلام :

قول الله تعالى : ﴿ **هل جزاء الإحسان إلا الإحسان** ﴾ جرت في المؤمن والكافر والبر الفاجر فمن صنع اليه معروفاً فليكافي به ، وليست المكافأة أن تصنع كما صنع فإن فعلت فله فضل الإبتداء .

وقال عليه السلام في وصيته لهشام بن الحكم :

« **من أحسن برَّ إخوانه وأهله مُد في عمره** » .

وقال عليه السلام :

كان أمير المؤمنين عليه السلام يوصي أصحابه ويقول :

« **اوصيكم بالخشية من الله في السر والعلانية ، والعدل في الرضا والغضب ، والإكتساب في الفقر والغنى ، وأن تصلوا مَن قطعكم ، وتعفوا عمن ظلمكم ، وتعطفوا على أرحامكم** » .

وما أحسن ما قال السيد جعفر الحلي رحمه الله :

جاز الإساءة بالإحسان إن صدرت　　من امرءٍ زلة تدعو الى الغضب

سجية النخل إن تضرب به في حجرٍ جازاك عن ضرب به بالبسر والرطب
كذلك الصدف البحري إن فلقوا أعلاه جازاهم باللؤلؤ الرطب

فلنكن كذلك ولو ترفعاً من أن نكون أدنى من الجمادات فضلاً عن أن نكون متأسين بالسادة الهداة عليهم السلام العاملين بتمام قوله تعالى :

﴿ **خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين** ﴾ .

ومن حديث الصادق عليه السلام لعنوان البصري حين قال له : أوصني يا أبا عبد الله ، قال عليه السلام :

« **اوصيك بتسعة أشياء فإنّها وصيتي لمريدي الطريق الى الله تعالى ، والله أسأل أن يوفقك لاستعماله ، ثلاثة منها في رياضة النفس ، وثلاثة منها في الحلم ، وثلاثة منها في العلم فاحفظها وإياك والتهاون بها** » قال عنوان : ففرَّغت قلبي له فقال :

أما اللواتي في الرياضة ـ فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنّه يورث الحماقة والبله .

ولا تأكل إلا عند الجوعِ .

وإذا أكلت فكل حلالاً وسمِّ الله تعالى واذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله : « **ما ملأ آدمي وعاءً شراً من بطنه فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنَفسه** » .

وأما اللواتي في الحلم ـ : فمن قال لك إن قلت واحداً سمعت عشراً فقل له : إن قلت عشراً لم تسمع واحدة .

ومن شتمك فقل له : إن كنت صادقاً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لي ، وإن كنت كاذباً فيما تقول فأسأل الله أن يغفر لك . ونظمه

بعضهم فقال :

ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني فأعف ثم أقول ما يعنيني

ومن وعدك بالخناء فعِده بالنصيحة والرعاء .

وأما اللواتي في العلم ـ : فاسأل العلماء ما جهلت وإياك أن تسألهم تعنتاً وتجربة وإياك أن تعمل برأيك شيئاً .

وخذ بالإحتياط ما تجد إليه سبيلاً .

واهرب من الفتيا هربك من الأسد ولا تجعل رقبتك جسراً للناس .

وفاة باثار

المعروف أنّ الوالد حريص على بقاء ولـده رجاء أن يكـون خلفاً من بعده ، وسادّاً للفراغ الحادث بعـد فقده ، لا يتخلف هـذا الأمل عن كل والد مع ولده وإن كان عادياً ، أما إذا كـان متصفاً بصفـات الفضل والفضيلة وسائر المزايا الجميلة فحدث ولا حرج ، فإنّ الآمال تنعقد عليه أعظم مما يتصور ، فترى أباه يجدّ ويدأب في تحصيل كـل ما يعود بالنفع عـلى ولده ، سـواء الدنيـا والآخرة ، ويعـده الذخيـرة العظمى له في كلا الدارين ، كذلك يكون كل عاقل إلا من انحرف طبعه وجازف بنعم ربه .

هـذا العبد الصالح لقمان الحكيم مع ولده باثار قد أعـدّ له من الإستعـداد ما يضمن لـه حياة الـدارين وكان قـد عقـد عليـه آمـالـه الكبيـرة وأعده لنفسـه أعظم ذخيـرة ، فـأشفق عليـه اشفـاقـاً يفـوق الوصف فأقبل عليه يؤدبـه ويعلمه ويعـظه مخافـة عليه من ذل الـدنيا وخزيها ، وعقاب الآخرة ومحنها ، غير أنّه لم يتمتع بذلك الولد فـما برح أن مات منشقة مرارته لعظم المواعظ والقاء الحكم وكثرة الإرشاد .

وليس غـريباً فـإنّ يحيى بن زكريـا عليه السلام حضر ذات يوم مجلس أبيـه وهو يعظ بني إسـرائيل ويحـدّثهم عن السكـران وهـو وادٍ

معروف في جهنّم ، فهام على وجهه فما رجع حتى خرجت امه في طلبه .

ومن هو أدنى من يحيى رجل مرّ على حداد وقد أخرج من الكور قطعة من الحديد وهي تتوقد ناراً والشرار يتطاير منها وقد وضعها على السندان ليعملها شيئاً من الآلة ، فخر ذلك الرجل مغشياً عليه متذكراً مقامع جهنم .

وحديث همام صاحب أمير المؤمنين عليه السلام مشهور معروف ، فإنّه لا زال يتلقى الإرشاد والمواعظ والحكم حتى كان ذلك سبباً وحيداً في موته لما تأثر منه قلبه فانشق فأودى بحياته .

وبالجملة فقد أخفق لقمان من أمله الكبير ورجائه الأكيد ، فمات ولده العزيز ودفن بدفنه كل آماله الجسام منشداً بلسان الحال :

ليس الزمان وإن حرصت مسالماً ... خلق الزمان عداوة الأحرار

والنفس إن رضيت بذلك أو أبت ... منقادة بأزمة المقدار

ولم يحتفظ التاريخ برثائه وتأبينه لولده غير أنّ التاريخ يعيد نفسه فإنا نذكر بوقوف أبي ذر على قبر ولده ذر وتأبينه له ورثائه إياه وقوف لقمان على قبر ولده ورثائه وتأبينه ، فإنّهما متماثلان حالة ومعنىً وهيئة ، فهذا تأبين أبي ذر نستدل به على تأبين لقمان تذكرة لأولي الألباب وتعليماً للفاقدين من الآباء أمثال ذر وباثار :

رحمك الله يا ذر ، لقد كنت كريم الخلق باراً بالوالدين ، وما عليّ في موتك من غضاضة ، وما بي إلى غير الله من حاجة ، وقد

شغلني الإهتمام لك عن الإهتمام بك ، ولولا هول المطلع لأحببت أن أكون مكانك ، فليت شعري ما قالوا لك وما قلت لهم .

ثم قال : اللهم إنَّك فرضت لك عليه حقوقاً وفرضت لي عليه حقوقاً ، فإنّي قد وهبت له ما فرضت عليه من حقوقي ، فهب له ما فرضت عليه من حقوقك ، فإنّك أولى بالحق وأكرم مني .

كما أنّ التاريخ أيضاً لم يحتفظ برثاء ام باثار وتأبينها لولدها على أنّها الثكلى الوحيدة التي لا يشبهها أحد في مصيبتها إلا أمثالها من الأمهات الفاقدات لأمثال ولدها ، كيف لا وللولد في قلب امه من الولع به ما ليس في قلب أبيه غالباً وإن كان الولد عادياً .

فقد جاء في كتاب الأذكياء : قال الأصمعي مات ابن الأعرابية فما زالت تبكي حتى خدد الدمع خدها ثم استرجعت فقالت : اللهم إنّك قد علمت فرط حب الوالدين لولدهما فلذلك لم تأمرهما ببره ، وعرفت عقوق الولد لوالديه فمن أجل ذلك حضضته على طاعتهما ، اللهم إنّ ولدي كان من البار بوالديه على ما يكون الوالدان بولدهما فاجزه مني بذلك صلاة ورحمة ، ولقه سروراً ونضرة .

فقال لها أعرابي : نعم ما دعوتِ له لولا أنّك شبته من الجزع بما لا يجدي . فقالت : اذا وقعت الضرورات لم يجر عليها حكم المكتسبات ، وجزعي على ابني غير ممكن في الطاقة صرفه ، ولا في القدرة منعه ، والله ولي عذري بفضله ، فقد قال عز وجل: ﴿فمن اضطر غير با ولا عادٍ فلا إثم عليه إنّ الله غفور رحيم﴾ .

* * *

الوفـاة

بقي لقمان الحكيم بعد ولده حزين القلب يبكيه بدموعه الحـارة مدة لم يضبط التاريخ لها قلة أو كثرة حتى فاجأه الحِمام غاية كـل حي ومصير كل مخلوق ، غـير أنّ بعض الناس يمـوت لموتـه خلق كثـير ، كهذا العبد الصالح ، فقـد ماتت لمـوته آمـال المنتحلين به والمتعلقـين بذيل أطماره والمنتهلين من حوض علمه الصافي الفياض .

توفي عن عمر ناهز الف عام على أقل الروايـات ، قضى بعضها في مُلك الغير ، ولعله القليل منها ، وأفنى الباقي فيما عرفت مما تلونا عليك فراجع متأملاً ، فإنَّك تجد روحاً ملكوتيـة لا تحسب للشخصية أي حسـاب بل تفنى في الصـالح العـام كل الفنا ، فترى صـاحبهـا مشتغـلاً بالإرشـادات الدينيـة والمواعظ الحكميـة والعبادات البـدنيـة والمالية وإصلاح ذات البين وأداء حقـوق شرعيـة داخلية وخـارجية ، وهذه الخصال كلها تنساب من ذلك الينبوع الذهبي المباح لكـل وارد وصادر كذلك رجال الدين وذوو الصلاح والإصلاح .

فلما قضى نحبـه شيع جثمـانه الكـريم الى محل مـدفنه من أرض هجرته مدينة الرملة القريبـة من بيت المقدس من أرض الشام ودفن هناك .

وكأنّي ببعض الفاقدين له المبتلين بأضداده يقول أو ينشد ما معناه :

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم   والمنكرون لكل أمر منكر
وبقيت في خلف يزين بعضهم   بعضاً ليدفع معوراً عن معور
فطن بكل مصيبة في ماله   وإذا اصيب بدينه لم يشعر

ويقول :

ذهب الناس فاستقلوا وصاروا   خلفاً في أراذل النسناس
في اناس نعدهم من عديد   فإذا فتشوا فليسوا بناس
كلما جئت أبتغي النيل منهم   بدروني قبل السؤال بياس
وبلوني حتى تمنيت أنّي   منهم قد أقلت رأساً براس

ويقول :

ذهب الذين يعاش في أكنافهم   وبقي الذين حياتهم لا تفنع

وعلى كلٍّ فإنّ الله سبحانه وتعالى لا يخلي الأرض ممن يحبهم ويحبونه وهو البصير بعباده .

* * *

خاتمة

أحسب أنّ ما جمعته عن هذا العبد الصالح في كتابي هذا قليلاً من كثير ، ولعل بعض الأفاضل عثر أو يعثر على مثله أو أكثر منه فيتفضل به على مجموعة الأدب والتاريخ .

مع كثرة اجتهادي في الطلب وجدي في الفحص (على قدر أهل العزم تأتي العزائم) لكنّه مع ذلك كما قال بعضهم في كتابه :

هذا كتابي جمعته زمناً	**أودعته من غرائب الحِكَم**
فمن رأى حسنه فأعجبه	**فاليدعُ لي بالنجاة من حَكم**
فهو مستيقظ يدبره	**عن الخنا والفساد كالحَكم**

فالمراد بالحكم الاولى جمع حكمة ـ بالكسر ـ وهي الإصابة في الأمور كما تقدم تفسيرها ، وبالثانية الحكم ـ بالفتح ـ العدل وهو الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى : ﴿ **أليس الله بأحكم الحاكمين** ﴾ وبالثالثة الحكم ـ بالفتح ـ أيضاً الحاكم بين الخصمين الذي هو عبارة عن القاضي .

فأسأل الله الكريم أن يجعله خالصاً لوجهه نافعاً لي ﴿ **يوم لا**

ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه انيب والحمد لله رب العالمين .

القطيف ٧ ـ ٦ ـ ١٣٧٣ **أبو الفرج المرهون**

محتويات الكتاب

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة





